الأناشيد الإسلامية

وحكمها الشرعي

إعـــداد

محمد فنخور العبدلي

محافظة القريات

روجع ونُقح محرم ١٤٤٤هـ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال تعالى { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } ، وقال تعالى { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً }، وقال تعالى { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً } أما بعد

الدين الإسلامي دين وسط بين التشدد والتساهل ، فهناك من تشدد فنفر الناس من الدين ، وفي المقابل هناك من تساهل فأساء للدين حتى جعله في عيون الآخرين من غير المسلمين دين خرافات وخزعبلات كما فعلت الصوفية ، فأساءت للدين الإسلامي من خلال نقلها للفسحة في الدين إلى طرب وهز وهش كما يقال ، فيتصور الآخرون أن ديننا دين سهر وليال حمر .

لا ليس ديننا هكذا ، ديننا بحمد الله دين الوسط بين الجد في العبادة والعمل والإنتاج ، وبين الفرح المنضبط بضوابط الشرع ، كفرح الأعياد والزواجات وغيرها مما سيتضح للقارئ الكريم من خلال هذا البحث اللطيف .

آمل ممن يقرأ هذا البحث أن يقرأه بعين العقل لا بعين العاطفة المقيتة ، آمل ممن يقرأ هذا البحث أن يقرأه بعين الناقد البصير لا الناقد المتصيد للخطأ أو المتصنع للخطأ ، آمل ممن يقرأ هذا البحث أن يقرأه بعين طلب العلم والفائدة لا بعين طمس العلم وحجر الفكر ، آمل ممن يقرأ هذا البحث أن يقرأه وهو يعلم أن بعض المسائل فيها خلاف معتبر قابل للنقاش والأخذ والرأي ، آمل ممن يقرأ هذا البحث أن يتمثل قول الإمام الشافعي قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب .

أخي الكريم وجه لي نصحك كأخ كريم يحب الخير لي والحمد لله رب العالمين .

كتبه

محمد بن فنخور العبدلي

المعهد العلمي في محافظة القريات

روجع في محرم ١٤٤٤هـ

تعريف النشيد

في لسان العرب : هو من النَّشِيدِ رفْعِ الصَّوْتِ ، قال أَبو منصور : وإِنما قيل للطالب ناشد لرفع صوته بالطلب ، والنَّشِيدُ رَفعُ الصَّوْت ، ومن هذا إِنشاد الشَعر إِنما هو رفع الصوت ، ومنه نَشَدَ الشِّعْر وأَنشده ، فنَشده : أَشاد بذكره ، وأَنشده إِذا رفعَه ، والنَّشِيدُ فعِيلٌ بمعنى مُفعَل ، والنشيدُ الشعر المتناشد بين القوم ينشد بعضهم بعضا ، والنَّشِيدُ من الأَشعار: ما يُتناشَدُ (١) ، وفي القاموس المحيط : وأنشد الشِّعْرَ: قرأَهُ ، وتناشَدوا: أَنْشَدَ بعضُهم بعضا ، والنِّشْدَة ، بالكسر: الصَّوْتُ ، والنَّشِيدُ: رَفْعُ الصَّوْتِ ، والشِّعْرُ المُتَناشَدُ ، كالأُنْشُودَةِ ، جمعه : أناشِيدُ ، واسْتَنْشَدَ الشِّعْرَ: طلبَ إنشادَهُ (٢) ، وفي الصّحّاح في اللغة : واسْتَنْشَدْتُ فلانا شِعره فأنْشَدَنيهِ ، والنَشِيدُ الشِعرُ المُتَناشَدُ بين القوم (٣) ، وفي المعجم المحيط : النَّشِيدُ والنَّشِيدَة : الصوت : رَفعُ الصَّوْت مع تلحينه ؛ يلذ لي سماعُ نَشِيدِك ، الأُنْشودَةُ : وهي قطعة من الشِّعرِ أو الزجل في موضوع حماسيّ أو وطنيٌ تنشِده جماعة ؛ النَّشِيدُ الوَطنيُّ ، جمعه أَنَاشِيدُ (٤) ، وفي معجم الغني : نَشِيدٌ ، جمعه أَنَاشِيدُ [ن ش د] ، النَّشِيدُ المَدْرَسِيُّ : قِطعَةٌ شِعْرِيَّةٌ يُغَنِّيهَا أَطفالُ المَدَارِس جَمَاعِيًّا ، وَفِي نِهَايَةِ السَّنَةِ تُقَامُ حَفلَةُ أَنَاشِيدَ وَخُطَبٍ وَتَمْثِيلِيَّاتٍ (محمد برادة) (٥) ، وقيل أن النشيد هو رفع الصوت بالشعر مع تحسين وترقيق ، سواء كان بأصوات فردية أو جماعية (٦)، ويقول محمد غنو : الأناشيد مجموعة من الألحان والإيقاعات والكلمات المناسبة ، تختلف مواضيعها باختلاف الزمان والمكان ، وهي وسيلة للتعبير يلجأ الإنسان ليعبر بها عما يخالج نفسه ووجدانه سواء كانت مفرحة أو محزنة (٧) ، ويقول الدكتور صالح بن أحمد الغزالي : النشيد : رفع الصوت ، ومعناه في اصطلاح أهل العصر : رفع الصوت بشعر ، أو رجز ، أو نثر، بنوع فيه ترجيع وترقيق وتنغيم ؛ لأجل إثارة الحماس والعواطف والغيرة الدينية ، في أوقات وأماكن متنوعة (٨)

١- لسان العرب مادة نشد

٢- القاموس المحيط مادة نشد

٣- الصّحّاح في اللغة مادة نشد

٤- المحيط لمجموعة مؤلفين

٥- معجم للدكتور عبد الغني أبو العزم

٦- موقع واحة المسلم http://www.al-waha.com/page/vhtml.

٧- موقع الخيمة http://www.khayma.com/tilmid/nachid.ppt

٨- كتاب حقيقة النشيد وحكمه – تقريظ وتعليق فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين

تعريف المنشد

المنشد : هو ذلك الشخص الذي يردد كلمات موزونة ومقفاة ، ذات موضوع معين وهادف ، بصوت منغم ، ففي معجم الغني مُنْشِدٌ ، مُنْشِدَةٌ — جمعه : مُنْشِدُون ، مُنْشِدَات ، [ن ش د] ، مُنْشِدٌ لِأُغْنِيَّةٍ دِينِيَّةٍ : أيْ مُؤَدِّيهَا حَسَبَ لَحْنٍ وَإِيقاعٍ ، اِجْتَمَعَ الْمُنْشِدُونَ يُنْشِدُونَ (١)

الهدف من النشيد

بث روح الحماس و الجأش في صفوف المجاهدين في سبيل الله ، للحث على الأخلاق الكريمة و تذكير الناس بها (٢) ، ثم انتقل الهدف منها إلى طلب التسلية ، وقتل أوقات الفراغ ، وجعلها بديل للأغاني الماجنة والأغاني التي تشتمل على الموسيقى والمعازف ، يقول المهندس عمران البني : والنشيد الإسلامي أحد الوسائل الإعلامية الهادفة التي تخدم القضايا الإسلامية الهامة الموجودة على الساحة ، من خلال طرح تلك المواضيع بأسلوب إنشادي يصيغه الشاعر ليعبر عنه المنشد بصوته ، و قد كان النشيد و ما يزال الأسلوب المتقدم و المتميز في تقديم أشعار كثيرة لم تكن معروفة إلا في الكتب المتخصصة ، و لكنها انتشرت و عرفت بين العامة بواسطة النشيد كأشعار التفكر في خلق الله ، و مدح الأنبياء والرسل ، و الحث على الفضيلة ، و يلعب النشيد في هذه الحالة دور سد الثغرة القائمة بين الكتاب و بين شريحة الأفراد التي لا تحب القراءة أو لا تجد و قتا لها ، و يعتمد هدف النشيد بالدرجة الأولى على الكلمة أو الشعر المقدم في النشيد ، فهناك النشيد الحماسي والوعظي و هناك أناشيد المواضيع المتفرقة و غيرها ، و يساند الشعر في هذه الحالة أداؤه من قبل المنشد بحيث تفاعل المنشد مع الكلمة له الأثر الكبير في إيصال معنى الكلمة للمستمع ، ويقول الدكتور صالح الغزالي : **المطلب الثالث** : مقاصد النشيد : تنقسم مقاصد النشيد بحسب متعلقها إلى قسمين :

القسم الأول : المقاصد المرتبطة بكلمات النشيد ومعانيها ، وأهمها :

١- الثناء على الله بما هو أهله .

٢- مدح النبي ﷺ .

٣- التعريف بمحاسن دين الإسلام على غيره من الأديان ، ومبادئه العظيمة ، كالعدل ، وتحرير الإنسان من عبودية غير الله .

٤- التذكير بأمجاد المسلمين وبطولاتهم السالفة .

١- معجم للدكتور عبد الغني أبو العزم

٢- موقع واحة المسلم http://www.al-wa7a.com/page/6.html

٥- التعريف بمشكلات المسلمين وآلامهم المعاصرة ٠
٦- إثارة الحماس والغيرة على الدين والحث على الجهاد في سبيل الله ٠
٧- الدعوة إلى مكارم الأخلاق كبر الوالدين والإنفاق في سبيل الله ٠
٨- لفت الأنظار إلى عظمة الخالق - عز وجل - بالنظر في مخلوقاته والتأمل فيها ٠
٩- تعليم الناس بعض أحكام الدين كأركان الإيمان ، وأركان الإسلام ٠
١٠- محاربة الأفكار المنحرفة ، كالدعوة إلى التبرج والسفور ، وتقليد الكفار وموالاتهم ، وعزل الدين عن الحياة ٠

القسم الثاني : المقاصد المرتبطة بحال مستمع الأناشيد وقصده :

١- الاستعاضة عن الأغاني الخليعة المحرمة ، لاسيما لمن أعتاد سماعها ٠
٢- الترويح عن النفس ، ودفع السآمة ، والملل حين الضعف والخور ٠
٣- إثارة المعاني الإيمانية وتحريكها كالخشية والإنابة وترقيق القلب وتذكر الآخرة بسماع الأناشيد الوعظية الزهدية ٠
٤- الاستعانة بالأناشيد على أداء العمل وقطع المفاوز البعيدة دون ملل ٠
٥- اتخاذها وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله يتوب بها العصاة ٠
٦- الإطراب واللذة بسماع ألحان النشيد ، وما يصحبه من آله دف إن وجد ٠
٧- إحياء المناسبات المختلفة ، كالأعراس والحفلات ٠(١)

الفرق بين النشيد والأغنية

بينهما فرق كبير ومن الفروق :

١- كلمات النشيد الإسلامي هادفة ومحافظة ، وكلمات الأغاني لا تخلوا من الكلمات السيئة ، أو الهابطة ، أو الوصف للنساء ونحو ذلك ، فالشعر في لغة العرب ما هو إلا كلامٌ عربيٌ موزونٌ مُقفى فحسنه حسنٌ ، و قبيحه قبيحٌ ٠
٢- النشيد لا يصحبه آلات موسيقية ، أما الأغاني فإنها تعتمد اعتمادا كليا على المعازف المحرمة ٠
٣- الأناشيد في الغالب تكون حماسية ولها أهداف سامية ألا وهو خدمة الأمة الإسلامية ، أما الأغاني فالغالب إنها لهو مطلق أو مجون إلا ما شاء الله ٠

١- كتاب حقيقة النشيد وحكمه - تقريظ وتعليق فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين

متى ظهر النشيد

يقول الدكتور صالح بن أحمد الغزالي : لم يُعرف النشيد بصورته الحالية قبل العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري ، إلا أن له أصولا قديمة أرجعها المتكلمون على أصله بحسب رأيهم فيه إلى أمرين :

الأول : أنه امتداد للحُداء والنَصْب اللذين كانا ينشدان في عصر النبي ﷺ وأصحابه ومن بعده رضي الله عنهم ، مع تطور يسير ، بما يتناسب مع تطورات العصر الحديث .

الثاني : أنه موروث عن الطرقيين من الصوفية ، مع تعديل لا بأس به في كلماته كالبعد عن الشركيات ، أو غياب كثير من آلات اللهو في كثير منه ، ويتابع قائلا : ابتداء النشيد في مصر والشام ، ثم انتقاله إلى بقية البلدان العربية وغيرها ، إلا أن فكرة الأناشيد لم تكتمل كما أعلم بصورتهما الحاضرة قبل العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري ، يقول مروان كجك في مقدمة أناشيد إسلامية : وكانت هذه الأناشيد تسير رويدا رويدا بمعاني القرآن ، وعقائد الإسلام ، حتى كان العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري ، ويؤكد ذلك الدكتور علي العمري فيقول : تعود بدايات هذا النشيد إلى الستينات الميلادية ، والتي كانت مركزة بشكل كبير على المديح النبوي بشكليه المعتدل والمغالي أحيانا ، وكانت المدرستان المصرية والشامية في الصدارة ، كما أن النشيد بقيمه الدعوية والتربوية والبطولية كان في نفس الفترة ومن كلا المدرستين ، إلا أن المدرسة الشامية على وجه الخصوص تميز رموزها بفكرهم الدعوي ، وانتخابهم للقصائد المعبرة عن هذا المنحى (١)

أسباب انتشار النشيد

يقول الدكتور صالح بن أحمد الغزالي : الداعي إلى ظهوره وانتشاره أسباباً منوعة وأهمها :

الأول : انتشار الأغاني الخليعة مما دعا أهل النشيد إلى منافستها والحد من انتشارها بواسطة بدائل النشيد .

الثاني : انتشار الصحوة الإسلامية ، لاسيما التجمعات الدعوية ، والجماعات الإسلامية ، الذين رأوا النشيد من ضرورة أساليب الدعوة .

الثالث : تسلط الكفار على المسلمين ، واغتصاب أراضيـــهم ، لاسيما أرض فلسطين

١- موقع الدكتور علي العمري

http://www.alomarey.net/Default.asp?zSystem=Press&Press=Room&Lang=&sc=Omarey^167

ردها الله من كيد الغاصبين ، وظهور الحركات الجهادية في مقاومة الكافرين ، ولاسيما الجهاد الأفغاني .

الرابع : ظهور وسائل السماع وانتشارها وتكاثرها بين أيدي الناس في بيوتهم ومركوباتهم ، لاسيما أشرطة (الكاست) ، ووجود مؤسسات تجارية متخصصة في نشره تُسمى (التسجيلات الإسلامية) ، وبانتشار النشيد حصلت العناية به وتطويره من نواح عدة(١)

النشيد أصل أم بديل

يقول الشيخ الدكتور علِي بن حمزة العمري : يتناقل البعض هذا السؤال ويبنون على الإجابة عليه أصولا شرعية مختلفة ، وفي رأيي أن كلا الأمرين صحيح ، فالنشيد من ناحيةٍ هو أصل ؛ لأن الشريعة دعت إليه ، ورغبت فيه في عدّة مواطن ، وتذكير الناس أنه أصل وهو من الشرع أمر في غاية الأهمية ، وفي هذا نفع للمنشدين وتحفيز لدورهم ، وتطمينٍ لعامة الناس كي يتجهوا نحو ما يقرّبهم إلى ربهم ، ويحفزهم إلى الإنجاز، ويُسَلّيهم في الوقت نفسه ، كما أن النشيد بديل كذلك أمام الموجات الشديدة التي غزت بيوت ومناسبات عامة المسلمين وللأسف ، فهو جاء كبديل لقوم لم يتذوقوا طعم الأنشودة الإسلامية فترة طويلة من الزمن ، ولم يتعوّدوا على امتزاج الكلمة الهادفة مع الألحان الجيدة الراقية ، ولعل رسالة الأنشودة في هذا الزمن أصبحت واضحة ومدوية ، حيث أثرت في فكر ووجدان المسلمين على وجه العموم ، لمشاركتها حياة الناس وألوان معيشتهم ، مع اختلاف همومهم وقضاياهم ، وخاصة مع الصعود المحمود للقنوات الفضائية النافعة ، والاحتراف المهني المطلوب لبعض المنشدين مما فرضت وجودها في كل القنوات الهادفة وغير الهادفة والحمد لله (٢)

أركان النشيد

له عدة أركان هي :	
١- الكلمة أو القصيدة	٢- اللحن
٣- المنشد	٤- فن التسجيل والإخراج

١- كتاب حقيقة النشيد وحكمه - تقريظ وتعليق فضيلة الشيخ / عبد الله الجبرين

٢- موقع الدكتور علي العمري

http://www.alomarey.net/Default.asp?zSystem=Press&Press=Room&Lang=&sc=Omarey^167

يقول الدكتور صالح بن أحمد بن محمد الغزالي : الركن هو ما قام عليه الشيء ، والنشيد يقوم على ثلاثة أمور : الألحان ، والكلمات ، والمقاصد ٠ (١)

ضوابط النشيد الإسلامي

ضوابط وشروط النشيد الجائز :

وبتأمل كلام العلماء والمشايخ الثقات يمكننا جمع الضوابط والشروط الشرعية التي يجب تحققها حتى يكون النشيد جائزا ، ومن ذلك :

١- أن تخلو كلمات النشيد من الكلام المحرم والتافه ٠

٢- أن لا يصاحب النشيد معازف أو آلات موسيقية ، ولم يُبح من المعازف إلا الدف للنساء في أحوال معينة ٠

٣- أن تخلو من المؤثرات الصوتية التي تشبه صوت الآلات الموسيقية ؛ لأن العبرة بالظاهر والأثر ، وتقليد الآلات المحرمة لا يجوز ، وخاصة أن أثرها السيئ هو نفسه الذي تحدثه الآلات الحقيقية ٠

٤- أن لا تكون الأناشيد ديدناً للمستمع ، وتستهلك وقته ، وتؤثر على الواجبات والمستحبات ، كتأثيرها على قراءة القرآن ، والدعوة إلى الله ٠

٥- أن لا يكون المنشد امرأة أمام الرجال ، أو رجلاً فاتنا في هيئته أو صوته ، أمام النساء ٠

٦- أن يتجنب سماع أصحاب الأصوات الرقيقة ، والمتكسرين في أدائهم ، والمتمايلين بأجسادهم ، ففي ذلك كله فتنة ، وتشبه بالفساق ٠

٧- تجنب الصور التي توضع على أغلفة أشرطتهم ، وأولى من ذلك : تجنّب ظهورهم بالفيديو كليب المصاحب لأناشيدهم ، وخاصة ما يكون من بعضهم من حركات مثيرة ، وتشبه بالمغنين الفاسقين ٠

٨- أن يكون القصد من النشيد الكلمات لا الألحان والطرب ٠(٢)

١- كتاب حقيقة النشيد وحكمه - تقريظ وتعليق فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين

٢- الإسلام سؤال وجواب

http://www.islam-qa.com/ar/ref/91142/ضوابط%٢٠النشيد%٢٠الإسلامي

رأي الدكتور عبد اللّه البدراني بالأناشيد وردي على فضيلته

أولا : مقال الدكتور عبد اللّه البدراني حفظه اللّه

قناة المجد والأناشيد

د. عبد الله بن عبد العزيز البدراني

طالعتنا قناة المجد الفضائية وللأسف الشديد بإعلانات متتالية عن قناة جديدة متخصصة بالأناشيد (الإسلامية زعموا) ، سوف تنطلق في بداية الشهر المقبل تحت مسمى (قناة شدى) ، وقد ناصحهم كثير من العلماء وطلبة العلم بالكف عنها ، ولكن دون استجابة ، والفتنة بالأناشيد الموسومة بالإسلامية مما ابتلي به المسلمون من قديم ، ولكن مع اختلاف التسمية ، فقد كانت تسمى في عصر الإمام الشافعي رحمه الله (التغبير) ، وسميت ب(القصائد) الصوفية أو الزهديات ، وغير ذلك، وظهرت الفتنة في هذا العصر بهذا المسمى الجديد الجذاب (الأناشيد الإسلامية) إخفاء لحقيقتها وترويجا لها على الجهال وبين السذج من الفتيات والفتيان ، يقول الإمام الشافعي : (خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة، يسمونه التغبير، يصدون به الناس عن القرآن) ، قال شيخ الإسلام معلقا: (وهذا من كمال معرفة الشافعي وعلمه بالدين ، فإن القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات والتلذذ بها حصل له نفور من سماع القرآن والآيات ، فستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن) أهـ – الفتاوى (١١ – ٥٣٢) ، وقال أيضا في المجموع (١١ – ٥٧٠) : (وما ذكره الشافعي من أنه من إحداث الزنادقة فهو كلام إمام خبير بأصول الإسلام ، فإن هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مسألة السماع : وقد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا لاستماع الأبيات الملحنة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف ، كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته وإتباع ما جاء من الكتاب والحكمة ، لا في باطن الأمر ولا في ظاهره ولا لعامي ولا لخاصّي) ، وسئل الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عن الإنشاد الإسلامي فقال : (الإنشاد الإسلامي إنشاد مبتدع مما ابتدعه الصوفية ، ولهذا ينبغي العدول عنه إلى مواعظ القرآن والسنة) ، ولما تكلم أحد المنشدين بأن الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين استمع إلى شريطه الإنشادي (أشجان) وأجازه أنكر ذلك الشيخ رحمه الله وقال: إن رأيي في هذا الشريط أنه ملحن تلحين الأغاني الهابطة ، وأنصح بعدم سماعه والاتجاه إلى سماع ما سجل من النونية والميمية لابن القيم ومنظومة الآداب لابن عبد القوي وغير ذلك من الأشياء النافعة إذا كان لا بد من استماع القصائد وإلا ففي القرآن والسنة أعظم موعظة ، وسئل فضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان عن

سماع الأناشيد الإسلامية فقال : (هذه التسمية غير صحيحة ، وهي تسمية محدثة ؛ فليس هناك ما يسمى بالأناشيد الإسلامية في كتب السلف ومن يعتد بقولهم من أهل العلم ، والمعروف أن الصوفية هم الذين يتخذون الأناشيد دينا لهم ، وهو ما يسمونه بالسماع ، وفي وقتنا لما كثرت الأحزاب والجماعات صار لكل حزب أو جماعة أناشيد حماسية قد يسمونها أناشيد إسلامية ، هذه التسمية لا صحة لها وعليه فلا يجوز اتخاذ هذه الأناشيد وترويجها بين الناس) ، وقال أيضا في كتابه الخطب المنبرية ما نصه : (ومما ينبغي التنبيه عليه : ما كثر تداوله بين الشباب المتدينين من أشرطة مسجلة عليها أناشيد بأصوات جماعية يسمونها الأناشيد الإسلامية ، وهي نوع من الأغاني ، وربما تكون بأصوات فاتنة ، وتباع في معارض التسجيلات مع أشرطة تسجيل القرآن الكريم والمحاضرات الدينية ، وتسمية هذه الأناشيد بأنها أناشيد إسلامية تسمية خاطئة ؛ لأن الإسلام لم يشرع لنا الأناشيد ، وإنما شرع لنا ذكر الله وتلاوة القرآن وتعلم العلم النافع ، أما الأناشيد فهي من دين الصوفية المبتدعة الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، واتخاذ الأناشيد من الدين فيه تشبه بالنصارى الذين جعلوا دينهم ترانيم جماعية والنغمات المطربة ، فالواجب الحذر من هذه الأناشيد ومنع بيعها وتداولها ، علاوة على ما قد تشتمل عليه هذه الأناشيد من تهييج الفتنة بالحماس المتهور والتحريش بين المسلمين) أهـ ، وقوله حفظه الله إنها تشتمل على تهييج الفتنة بالحماس المتهور أمر واقع ، بل إن الإرهابيين المفسدين كانوا ولا زالوا يعتمدون على الأناشيد الحماسية في سفك الدماء وقتل الأبرياء تحت مسمى الجهاد .

وختاما فإني أرجو من القائمين على قناة المجد أن يتقوا الله تعالى ، وألا يخدعوا الناس بكلام سلمان العودة - هداه الله - الذي يظهرونه بين الفينة والأخرى في الترويج لهذه القناة بأدلة شرعية وردت في القرآن الكريم ، وإنما عليهم أن يستجيبوا لكلام العلماء الناصحين ونداء سماحة مفتي عام المملكة الذي ناصحهم وطالبهم بمنعها والكف عنها من خلال قناتهم.

والله الهادي إلى سواء السبيل(١) .

١- جريدة الجزيرة الأربعاء ٢١ ذو الحجة ١٤٢٧ العدد ١٢٥٢٢

http://search.al-jazirah.com.sa/٢٠٠٧jaz/jan/١٠rj/١١.htm.

ثانيا : ردي المتواضع على فضيلته

رفقا بالمخالفين يا دكتور عبد الله فالأناشيد فيها خلاف

الحمد لله والصلاة والسلام على أفضل خلق الله وبعد

أخي رئيس تحرير جريدة الجزيرة السعودية ، لقد أطلعت مثل غيري على مقال الأخ الدكتور عبد الله البدراني وفقني الله وإياه لكل خير والمعنون بـ (قناة المجد والأناشيد) في العدد (١٢٥٢٢) ، فوجدته مقالا جيدا ولكن أخي الكريم ذكر قولا واحدا يراه هو الصحيح فكان لزاما علي أن أتناقش مع أخي الكريم رغبة بالحق ليس إلا ، وليعذرني أخي المشرف على طول المقال لأهمية الموضوع كما آمل نشره وعدم إهماله أو اختصاره فالهدف الحق والله المستعان ، كما إن الخلاف لا يفسد للود قضية إذا كان الهدف هو طلب الحق ، كما ينبغي علينا كمسلمين نعتز بأننا حملة أفضل وآخر شرع ابتغاه الله لنا ففضلنا على غيرنا به ، ويشهد الله أنني بمناقشتي لأخي الدكتور عبد الله البدراني لا أطلب إلا الحق الذي هو أيضا يبحث عنه ، ولا أهدف إلى الإلزام برأيي لأني بشر أخطئ وأصيب ، ومثلي قول الشافعي رحمه الله (قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب) ، وقد تعرض أخي الكريم في مقاله لقناة شدى للأناشيد والتي تُسَوقْ عبر باقة قناة المجد باركها الله ونفع بها ، ناقدا لها ومحذرا من الأناشيد جملة وتفصيلا وأستدل بأدلة قوية مباركة لفضلاء مباركين رحم الله من قضى وبارك بعمر من بقى ، والمسألة كما لا تخفى على الكثير من عامة الناس دون طلبة العلم منهم أنها مسألة خلافية الخلاف فيها قوي وقد كتب وألف كل فريق منهم ما يسر الله له أن يكتب حول الأناشيد الإسلامية ما بين مؤيد ومنكر .

فأقول مستعينا بربي مناقشا لأخي من خلال النقاط التالية :

النقطة الأولى : المسألة خلافية بين العلماء والخلاف فيها قوي ومعتبر كما سيتضح بعد قليل فكان الأجدر بأخي الكريم أن يبين الخلاف في المسألة ثم يرجح ما يراه صحيحا مبينا ومدللا .

النقطة الثانية : وصف أخي الكريم أن المتابعين للأناشيد بالجهال والسذج وكنت أربئ بأخي الكريم أن يصف أخوانه المسلمين بمثل هذه الصفات والتي ينتج عنها النفرة من كلامه وعدم الاستماع له بل ومعاداته ، ومن أراد النصح للآخرين لزمه حسن الملاطفة معهم حتى يسمعوا كلامه ، قال تعالى (لوْ كنتَ فظا غليظ القلبِ لانفضُّوا مِنْ حوْلِك) .

النقطة الثالثة : قال الدكتور عبد الله ما نصه (وألاّ يخدعوا الناس بكلام سلمان العودة هداه الله) ، فيظهر للقارئ من هذا الأسلوب أن بين أخي الدكتور عبد الله وفضيلة الدكتور سلمان العودة خلاف شخصي ، علما بأن الخلاف لا يفسد للود

قضية والنبي ﷺ (أنزلوا الناس منازلهم) رواه الترمذي ، وشيخنا الشيخ ابن باز أسكنه الله فسيح جناته كان إذا رد على المخالف قال (أخونا) ومثلها من الألفاظ اللطيفة ، ولطافة النبي ﷺ مع المخالفين خير دليل على أهمية إنزال الناس منازلهم

النقطة الرابعة : أن الأصل في الأشياء الإباحة إلا بدليل يحرمها ، وهذه الأناشيد على هذا الأصل أي الحل إلا بدليل ينقلها إلى التحريم ، وليس هناك دليل شرعي قاطع يحرمها .

النقطة الخامسة : كل ما هو مباح يجوز اتخاذه وسيلة من وسائل الدعوة ، لأن وسائل الدعوة ليست توقيفية على الصحيح والله أعلم .

النقطة السادسة : وهو لب الموضوع : قال الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب في صفحته في موقع صيد الفوائد ما نصه جوابا لمن سأله عن الأناشيد الإسلاميّة ؟ فقال : النشيد عبارةٌ عن شعرٍ مُلحّن ، و الشعرُ كلامٌ حَسَنُه حسنٌ ، و سيّئه سيّئ ، فإذا كان الكلام حسنا ، و اللحنُ خالٍ من الخضوع و الخنوع ، و غير مصحوبٍ بمحرّم كالاختلاط و أصوات المعازف على تنوّعها و نحو ذلك ؛ فلا بأس في أدائه ولا في سماعه إن شاء الله ، أمّا ما ذهب إليه بعض المعاصرين من اعتبار النشيد من شعارات أهل التصوّف ، و حمل نهي الأئمّة عن (السماع) عليه ، فغيرُ مسلّم به ، لأنّ النشيد معروفٌ مشهورٌ عند الصوفيّة و غيرهم ، و ليس حكرا على أحد ، وإن أكثر عند أهل البِدَع فلا يعدّ من شعاراتهم لمجرّد ذلك ، و قد عُرف الحِداء عن السلف ، و عُرفَ عنهم الرجَز في الجهاد ، وما هذا وذاك إلا من الشعر الملحّن (الإنشاد) ، و لم يُنكَره أحدٌ لذاته ، و لكن أنكره من أنكره لما قد يرافقه من منكرات لا تكاد تخلو منها مجالس السماع عند المتصوّفة ومن وافقهم ، و الترخيص في الإنشاد وسماع الأناشيد هو المختار لدى معظم أهل التحقيق من المعاصرين ، وتعميما للفائدة أذكر أقوال طائفة منهم ، فقد قال محدّث الديار الشاميّة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله : (إذا كانت هذه الأناشيد ذات معانٍ إسلامية ، وليس معها شيء من المعازف وآلات الطرب كالدفوف والطبول ونحوها ، فهذا أمرٌ لا بأس به ، ولكن لابد من بيان شرطٍ مهم لجوازها ، وهو أن تكون خاليَة من المخالفات الشرعية ؛ كالغلوّ ، ونَحوه ، ثم شرط آخر ، وهو عدم اتخاذها دَيدَنا ، إذ ذلك يصرِفُ سامعيها عن قراءة القرآن الذي وَرَدَ الحضُّ عليه في السُنَّة النبوية المطهرة ، وكذلك يصرفهُم عن طلب العلم النافع ، و الدعوة إلى الله سبحانه) [العدد الثاني من مجلة الأصالة ، الصادر بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ ، ص : ٧٣] ، وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله : (الأناشيد الإسلامية مثل الأشعار ؛ إن كانت سليمة فهي سليمة ، وإن كانت فيها منكر فهي منكر ، والحاصل أن البَتَّ فيها مطلقا ليس بسديد ، بل يُنظر فيها ؛ فالأناشيد السليمة لا بأس بها ، والأناشيد التي فيها منكر أو دعوة إلى منكرٍ منكرة) [راجع هذه الفتوى في شريط أسئلة وأجوبة الجامع الكبير ،

رقم : ٩٠ / أ] ، وقال الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله : (الأناشيد الإسلامية كثُرَ الكلام حولها ، و أنا لم أستمع إليها منذ مدةٍ طويلةٍ ، و هي أول ما ظهرت كانت لا بأس بها ، ليس فيها دفوف ، و تُؤدَّى تأدية ليس فيها فتنة ، و ليست على نغمات الأغاني المحرمةٍ ، لكن تطورت وصارَ يُسمع منها قرع يُمكن أن يكون دُفا ، و يمكن أن يكونَ غيرَ دُف ، كما تطورت باختيار ذوي الأصوات الجميلة الفاتنة ، ثم تطورت أيضا حتى أصبحت تؤدى على صفة الأغاني المحرمة ، لذلك : أصبح في النفس منها شيء وقلق ، ولا يمكن للإنسان أن يفتي بأنها جائزة على كل حال ولا بأنها ممنوعة على كل حال ، لكن إن خلت من الأمور التي أشرت إليها فهي جائزة ، أما إذا كانت مصحوبة بدُفٍ ، أو كانت مختارا لها ذوو الأصوات الجميلة التي تَفتِن ، أو أُدِّيَت على نغمات الأغاني الهابطة ، فإنّه لا يجوز الاستماع إليها) [انظر : الصحوة الإسلامية ، ص : ١٨٥] ، واعتَبَرَت اللجنة الدائمة للإفتاء الأناشيدَ بديلا شرعيّا عن الغناء المحرّم ، إذ جاء في فتاواها (يجوز لك أن تستعيض عن هذه الأغاني بأناشيد إسلامية ، فيها من الحِكم والمواعظ والعِبَر ما يثير الحماس والغيرة على الدين ، ويهزُّ العواطف الإسلامية ، وينفِر من الشر ودواعيه ، لتَبعَثَ نفسَ من يُنشِدُها ومن يسمعُها إلى طاعة الله ، وتُنَفر من معصيته تعالى ، وتَعَدِّي حدوده ، إلى الاحتماءِ بحِمَى شَرعِهِ ، والجهادِ في سبيله ، لكن لا يتخذ من ذلك وِرْدا لنفسه يلتزمُه ، وعادة يستمر عليها ، بل يكون ذلك في الفينة بعد الفينة ، عند وجود مناسباتٍ ودواعيَ تدعو إليه ، كالأعراس والأسفار للجهاد ونحوه ، وعند فتور الهمم ، لإثارة النفس والنهوض بها إلى فعل الخير ، وعند نزوع النفسِ إلى الشر وجموحها ، لردِعها عنه وتنفيرها منه ، وخيرٌ من ذلك أن يتخذ لنفسه حزبا من القرآن يتلوه ، وورِدا من الأذكار النبوية الثابتة ، فإن ذلك أزكى للنفس ، وأطهر ، وأقوى في شرح الصدر ، وطمأنينة القلب ، قال تعالى (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الزمر : ٢٣] ، و قال سبحانه : (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ❖ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) [الرعد : ٢٨ ، ٢٩] ، و قد كان دَيدَن الصحابة و شأنهم ﷺ العناية بالكتاب والسنة حفظاً و دِراسةً و عملاً ، و مع ذلك كانت لهم أناشيد وحداء يترنمون به في مثل حفر الخندق ، وبناء المساجد ، وفي سيرهم إلى الجهاد ، ونحو ذلك من المناسبات ، دون أن يجعلوه شعارهم ، ويعيروه جلّ همهم وعنايتهم ، لكنه مما يروحون به عن أنفسهم ، ويهيجون به مشاعرهم) [انظر النص الكامل لهذه الفتوى في كتاب : فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء ، جمع وترتيب محمد بن عبد العزيز المسند : ٤ / ٥٣٣] ، و في فتوى اللجنة إشارةٌ إلى ما رواه مسلم و ابن ماجة و أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخِرَةِ » . قَالَ شُعْبَةُ : أَوْ قَالَ : « اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلاَ عَيْشُ الآخِرَهْ

فَأَكْرِمِ الأَنْصَارَ وَ الْمُهَاجِرَهْ » ، و ما رواه الشيخان عَنْ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ ، وَكَانَ رَجُلاً كَثِيرَ الشَّعَرِ ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللهِ :

اللَّهُمَّ لَوْ لا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتْ الإِقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا
إِنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ ، و نحو ه ما رواه البخاريّ أيضاً عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع : ألا تُسمعنا من هنيهاتك ؟ قال : و كان عامر رجلا شاعرا ، فنزل يحدو بالقوم يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا وثبت الأقدام إن لاقينا
و ألقين سكينة علينا إنا إذا صيح بنا أتينا
و بالصياح عوّلوا علينا

فقال رسول الله ﷺ : (من هذا السائق ؟) ، قالوا : عامر بن الأكوع ، فقال عليه الصلاة و السلام : (يرحمه الله) ، و في سُنَن النسائي رحمه الله أنّ سلمة بن الأكوع ارتجز بأبيات أخيه هذه بين يدي رسول الله ﷺ ، فتدّقه رسول الله عندما قال :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا و لا تصدقنا ولا صلينا

وروى مُسلِم حديث إياس بن سلمة ابن الأكوع ﷺ، و فيه رَجزه :

وَأَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

ورَجز عمِّه عامر بن الأكوع المتقدّم و قوله أيضا في مبارزة مَرحَب ملك يهود :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرٌ شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُغَامِرٌ

حتّى إذا رَجَعَ سيفُ عامر ﷺ عليه فقتله ، برزَ عليٌّ لِمَرحب فضَرَبَ رأسه ، فقتله و هو يقول :

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

و لم يُنكر رسول الله ﷺ شيئاً من ذلك ، فكان بمثابة إقراره ، بل يؤخذ منه اسْتِحْبَاب الرَّجَز فِي الحَرْب ، كما قرّره النووي في شرح صحيح مسلم ، وقال الحافظ في (الفتح) بعد أن ذكر أقوال العلماء في الغناء عند شرح حديث البراء المتقدّم : (نَقل ابنُ طاهر في كتاب السماع الجوازَ عن كثير من الصحابة ، لكن لم يثبت من ذلك شيء إلا في النصب (وهو الحداء) المشار إليه أوّلا ، قال ابن عبد البر : الغناء الممنوع ما فيه تمطيط وإفساد لوزن الشعر طلبا للطرب وخروجا من مذاهب العرب ، وإنما وَرَدت

الرخصة في الضرب الأول دون ألحان العجم ، وقال الماوردي : هو الذي لم يزل أهل الحجاز يُرَخِّصُون فيه من غير نكير إلا في حالتين : أن يُكثِرَ منه جدا ، وأن يصحبه ما يمنعه منه ، واحتج من أباحه بأن فيه ترويحا للنفس ، فإن فعله ليقوى على الطاعة فهو مطيع ، أو على المعصية فهو عاص ، وإلا فهو مثل التنزه في البستان والتفرج على المارة ، وأطنب الغزالي في الاستدلال ، ومُحصَّله أن الحِداء بالرَجَز والشعر لم يزل يُفعل في الحضرة النبوية ، وربَّما التمس ذلك ، وليس هو إلا أشعار توزن بأصوات طيبة وألحان موزونة ، و كذلك الغناء أشعار موزونة تؤدى بأصوات مستلذة وألحان موزونة) ، والخلاصة أنّ الأناشيد منها ما هو مشروع ومنها ما هو محظور ، فما خالطه المنكر حُرِّم لأجله ، وما سَلِم من المنكر بكافة صُوَره ، وصَفت نيّة صاحبه ، فلا بأس فيه .(١)

النقطة السابعة : قال العلامة عبد العزيز ابن باز رحمه الله : (الأناشيد الإسلامية تختلف فإذا كانت سليمة ليس فيها إلا الدعوة إلى الخير والتذكير بالخير وطاعة الله ورسوله والدعوة إلى حماية الأوطان من كيد الأعداء والاستعداد للأعداء ونحو ذلك فليس فيها شيء ، أما إذا كانت فيها غير ذلك من دعوة إلى المعاصي واختلاط النساء بالرجال أو تكشف عندهم أو أي فساد فلا يجوز استماعها) (٢) ، وقال ابن باز رحمه الله : الأناشيد الإسلامية مثل الأشعار؛ إن كانت سلِيمة فهي سليمة ، و إن كانت فيها منكر فهي منكر ، و الحاصل أن البَتَّ فيها مطلقا ليس بسديد ، بل يُنظر فيها ؛ فالأناشيد السليمة لا بأس بها ، والأناشيد التي فيها منكر أو دعوة إلى منكر منكرة (٣) ، وقال الشيخ عبد الله الجبرين رحمه الله : النشيد هو قراءة القصائد إماً بصوت واحد أو بترديد جماعتين ، وقد كرهه بعض المشايخ ، وقالوا: إنه من طرق الصوفية ، وأن الترنم به يشبه الأغاني التي تثير الغرائز، ويحصل بها نشوة ومحبة لتلك النغمات ، ولكن المختار عندي : جواز ذلك - إذا سلمت من المحذور- وكانت القصائد لا محذور في معانيها ، كالحماسية والأشعار التي تحتوي على تشجيع المسلمين على الأعمال ، وتحذيرهم من المعاصي ، وبعث الهمم إلى الجهاد ، والمسابقة في فعل الخيرات ، فإن مصلحتها ظاهرة، وهي بعيدة عن الأغاني ، وسالمة من الترنم ومن دوافع الفساد(٤)

١- موقع صيد الفوائد – صفحة الشيخ
http://www.saaid.net/Doat/Najeeb/f54.htm

٢- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٣/٤٣٧

٣- شريط أسئلة و أجوبة الجامع الكبير ، رقم : ٩٠ / أ

٤- موقع الشيخ
http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=6&book=67&toc=4274&page=3859&subid=11430

وقال الدكتور سفر الحوالي : كثير من العلماء قد تكلموا فيه ، وما أظن الفتاوى في هذا إلا معلومة لديكم ، وما عندي فيها جديد ، لكن أحب أن أنصح بشيء بهذه المناسبة : إذا لم يطعك أحد الأشخاص في مركزٍ صيفي أو في مدرسة في ترك سماع الأناشيد لا تتهمهم في عقائدهم ، فإذا رأيت أحدا يعمل مثل هذا العمل من إخوانك من أهل السنة من مريدي الحق ، لا تقول : أنت أصبحت صوفيا أو أنت من الصوفية ، فتلحقه بطائفة مبتدعة لأنه خالف بهذا فربما كان له اجتهاد ، فهو يرى أنه جائز وأنت ترى أنه محرم ، ..... والاختلاف الذي يصحبه الهوى ، الاختلاف في الأناشيد والتمثيليات في كثير من الأحيان أنا أرى أنه يصحبه نوع من الهوى ، أما مجرد معرفة حكم الله فيها فهذا سهل يمكن أن نتفق عليه ، ويمكن أن نفترق فيه على قولين ، والغالب أن الحق مع من يُفصِل ، وليس مع من يُحَرِم مطلقا ، ولا من يثبت مطلقا، بل لابد من فصل الحرام من الحلال في هذه الأمور وستجد الخير - إن شاء الله- أما أن يحرم شيئا من أساسه وغيره يخالفه من أساسه فلا بد أن ذلك الغير له نظر، فما دام هو داخل في دائرة الاجتهاد فليقدرها قدرها (١) ، وقال الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله : الأناشيد الإسلامية كثُرَ الكلام حولها ، وأنا لم أستمع إليها منذ مدة طويلة ، وهي أول ما ظهرت كانت لا بأس بها ، ليس فيها دفوف ، و تُؤدَّى تأدية ليس فيها فتنة ، وليست على نغمات الأغاني المحرمة ، لكن تطورت وصارَ يُسمع منها قرع يُمكن أن يكون دُفا ، و يمكن أن يكون غيرَ دُف ، كما تطورت باختيار ذوي الأصوات الجميلة الفاتنة ، ثم تطورت أيضا حتى أصبحت تؤدى على صفة الأغاني المحرمة ، لذلك : أصبح في النفس منها شيء و قلق ، و لا يمكن للإنسان أن يفتي بأنها جائزة على كل حال و لا بأنها ممنوعة على كل حال ، لكن إن خلت من الأمور التي أشرت إليها فهي جائزة ، أما إذا كانت مصحوبة بدُفٍ ، أو كانت مختارا لها ذوو الأصوات الجميلة التي تَفتِن ، أو أُدِّيَت على نغمات الأغاني الهابطة ، فإنّه لا يجوز الاستماع إليها (٢) ، واعتَبَرَت اللجنة الدائمة للإفتاءُ الأناشيدَ بديلا شرعيّا عن الغناء المحرّم ، إذ جاء في فتاواها : يجوز لك أن تستعيض عن هذه الأغاني بأناشيد إسلامية ، فيها من الحِكم والمواعظ و العِبَر ما يثير الحماس والغيرة على الدين ، ويهزُّ العواطف الإسلامية ، وينفر من الشر ودواعيه ، لتَبعَثَ نفسَ من يُنشِدُها ومن يسمعُها إلى طاعة الله ، وتُنَفر من معصيته تعالى ، وتَعَدِّي حدوده ، إلى الاحتماءِ بحِمَى شَرعِهِ ، والجهادِ في سبيله . لكن لا يتخذ من ذلك وِرْدا لنفسه يلتزمُه ، و عادة يستمر عليها ، بل يكون ذلك في الفينة بعد الفينة ، عند وجود مناسباتٍ و دواعيَ تدعو إليه ، كالأعراس والأسفار للجهاد و نحوه ، وعند فتـــــور

١- موقع الحوالي
http://www.alhawali.com/index.cfm?method=home.SubContent&contentid=1165

٢- الصحوة الإسلامية ، ص : ١٨٥

الهمم ، لإثارة النفس و النهوض بها إلى فعل الخير ، وعند نزوع النفس إلى الشر وجموحها ، لردعها عنه وتنفيرها منه ، وخيرٌ من ذلك أن يتخذ لنفسه حزبا من القرآن يتلوه ، وورِدا من الأذكار النبوية الثابتة ، فإن ذلك أزكى للنفس ، وأطهر ، وأقوى في شرح الصدر ، وطمأنينة القلب ، قال تعالى (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الزمر : ٢٣] ، و قال سبحانه (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) [الرعد : ٢٨ ، ٢٩] ، وقد كان دَيدَن الصحابة وشأنهم رضي الله عنهم العناية بالكتاب و السنة حفظا ودِراسة وعملا ، ومع ذلك كانت لهم أناشيد و حداء يترنمون به في مثل حفر الخندق ، و بناء المساجد ، و في سيرهم إلى الجهاد ، ونحو ذلك من المناسبات ، دون أن يجعلوه شعارهم ، ويعيروه جلّ همهم وعنايتهم ، لكنه مما يروحون به عن أنفسهم ، ويهيجون به مشاعرهم (١) ، وقال محدّث الديار الشاميّة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله : إذا كانت هذه الأناشيد ذات معانٍ إسلامية ، و ليس معها شيء من المعازف و آلات الطرب كالدفوف و الطبول و نحوها ، فهذا أمرٌ لا بأس به ، و لكن لابد من بيان شرطٍ مهم لجوازها ، وهو أن تكون خالية من المخالفات الشرعية ؛ كالغلوّ ، و نحوه ، ثم شرط آخر ، و هو عدم اتخاذها دَيدَنا ، إذ ذلك يصرفُ سامعيها عن قراءة القرآن الذي وَرَدَ الحضُّ عليه في السُنَّة النبوية المطهرة ، و كذلك يصرفهُم عن طلب العلم النافع ، و الدعوة إلى الله سبحانه (٢) .

النقطة الثامنة : الخلاصة التي خلصت إليها :

١- جواز الأناشيد الإسلامية بضوابطها الشرعية والضوابط هي (الكلمة الهادفة – اللحن المتزن – عدم التميع أو التغنج – خلوها من المعازف – خلوها من تهييج الغرائز – ..... الخ) .

٢- الاتزان في الاستماع إلى الأناشيد وعدم الإكثار منها .

٣- أن لا يطغى الاستماع إليها على قراءة أو الاستماع لكتاب الله .

٤- أن لا تشغله الأناشيد عن طاعة الله .

٥- أن لا تشغله الأناشيد عن طلب العلم الضروري .

إن أصبت فمن الله وحده وإن أخطأت وهذا طبعي وطبع البشر فمن نفسي ومن الشيطان قبحه الله فأستغفر الله والحمد الله رب العالمين .(٣)

١- فتاوى إسلامية ، جمع وترتيب محمد بن عبد العزيز المسند : ٤ / ٥٣٣ بتصرف

٢- العدد الثاني من مجلة الأصالة ، الصادر بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ

٣- الجزيرة : ١٢٥٢٨- الثلاثاء ٢٧ ذو الحجة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧/١/١٦م

http://search.al-jazirah.com.sa/2007jaz/jan/16/rv7.htm

الحكم الشرعي للأناشيد الإسلامية

قال الدكتور صالح الغزالي : اختلف أهل العلم – من أهل العصر – في النظر إلى حكم النشيد واستماعه على قولين :

القول الأول : إباحته بشروط : وهو قول جمهور المنتسبين إلى العلم والدعوة من فقهاء العصر ، على خلاف بينهم في تفصيل هذه الشروط ، ومنها ما هو متفق عليه بينهم ، ككونها لا تُلهي صاحبها عن ذكر الله ، ولا يصطحِب معها آلات العزف ، ومنها ما هو مختلف فيه كاصطحاب الدف معها ، وممن أفتى بجواز النشيد بشروط : أعضاء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية ، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، وفضيلة الشيخ عبد الرازق عفيفي رحمه الله ، فضيلة الشيخ عبد الله بن غديان ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن قعود ، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله .

القول الثاني : الحظر : إلحاقا له بالسماع الصِوتي المحدث ، أو الغناء المُحرم وهو قول بعض الفقهاء والمحدثين في هذا العصر ، ممن قال به : الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ، والشيخ الدكتور صالح الفوزان حفظه الله .(١)

الفتاوى الشرعية في بيان حكم الأناشيد الإسلامية

أولا : فتاوى اللجنة الدائمة

السؤال الأول : إننا نعلم حرمة الأغاني المعروفة بشكلها الحالي ونحن شباب الإسلام الذين أنار الله قلوبهم بالحق لابد لنا من بديل وقد اخترنا الأناشيد الإسلامية التي فيها الحماس والعاطفة وغير ذلك من تلك الألوان ، والأناشيد عبارة عن أبيات شعرية قالها دعاة الإسلام (قواهم الله) وصيغت بشكل لحن كمثل قصيدة (أخي) لسيد قطب – رحمه الله تعالى - فما الحكم في أناشيد إسلامية بحتة فيها الكلام الحماسي والعاطفي الذي قاله دعاة الإسلام في العصر الحاضر وغير الحاضر وفيها الكلمات الصادقة التي تعبر عن الإسلام وتدعو إليه ، ولما كان ضمن هذه الأناشيد صوت الطبل (الدف) فهل يجوز الاستماع إليها ، وكما أعلم وعلمي محدود بأن الرسول ﷺ قد أباح الطبل ليلة الزفاف والطبل هو أهون الآلات الموسيقية مثله مثل الضرب على أي شيء سواه – أفيدونا وفقكم الله لما يحبه ويرضاه ؟

الجواب الأول : أجابت اللجنة بما يلي (صدقت في حكمك بالتحريم على الأغاني بشكلها الحالي من أجل اشتمالها على كلام بذئ ساقط واشتمالها على ما لا خير فيه بل على ما فيه لهو وإثارة للهوى والغريزة الجنسية وعلى مجون وتكسر يغري

١- كتاب حقيقة النشيد وحكمه – تقريظ وتعليق فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين

سامعه بالشر - وفقنا الله وإياك لما فيه رضاه - ويجوز لك أن تستعيض عن هذه الأغاني بأناشيد إسلامية فيها من الحكم والمواعظ والعبر ما يثير الحماس والغيرة على الدين ويهز العواطف الإسلامية وينفر من الشر ودواعيه لتبعث نفس من ينشدها ومن يسمعها إلى طاعة الله وتنفر من معصيته تعالى وتعدِي حدوده إلى الاحتماء بحمى شرعه والجهاد في سبيله ، لكن لا يتخذ من ذلك وردا لنفسه يلتزمه ، وعادة يستمر عليها ، بل يكون ذلك في الفينة بعد الفينة عند وجود مناسبات ودواعي تدعو إليه كالأعراس والأسفار للجهاد ونحوه ، وعند فتور الهمم لإثارة النفس والنهوض بها إلى فعل الخير وعند نزوع النفس إلى الشر وجموحها لردعها عنه وتنفيرها منه ، وخير من ذلك أن يتخذ لنفسه حزبا من القرآن يتلوه ، وواردا من الأذكار النبوية الثابتة فإن ذلك أزكى للنفس وأطهر وأقوى في شرح الصدر وطمأنينة القلب ، قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ، وقال سبحانه (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآبٍ) وقد كان دِيدن الصحابة وشأنهم رضي الله عنهم العناية بالكتاب والسنة حفظا ودراسة وعملا ومع ذلك كانت لهم أناشيد وحداء يترنمون به في مثل حفر الخندق وبناء المساجد وفي سيرهم إلى الجهاد ونحو ذلك من المناسبات دون أن يجعلوه شعارهم ويعيروه جل همهم وعنايتهم لكنه مما يروحون به عن أنفسهم ويهيجون به مشاعرهم ، أما الطبل ونحوه من آلات الطرب فلا يجوز استعماله مع هذه الأناشيد لأن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ لم يفعلوا ذلك والله الهادي إلى سواء السبيل . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم(١)

السؤال الأول : ما حكم استماع أشرطة الأناشيد الإسلامية؟

الجواب الثاني : الأناشيد تختلف فإذا كانت سليمة ليس فيها إلا الدعوة إلى الخير والتذكير بالخير وطاعة الله ورسوله والدعوة إلى حماية الأوطان من كيد الأعداء والاستعداد للأعداء ، ونحو ذلك ، فليس فيها شيء . أما إذا كان فيها غير ذلك من دعوة إلى المعاصي واختلاط النساء بالرجال أو تكشفهن عندهم أو أي فساد كان فلا يجوز استماعها (٢)

ثانيا : فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

السؤال الأول : ما حكم استماع أشرطة الأناشيد الإسلامية ؟

الجواب : الأناشيد تختلف فإذا كانت سليمة ليس فيها إلا الدعوة إلى الخيـــــــر

١- فتاوى إسلامية - محمد بن عبد العزيز المسند : ٤ / ٥٣٢ - ٥٣٣

١- راجع موقع اللجنة - الجزء رقم : ٣ الصفحة رقم ٤٣٧ - نشرت في المجلة العربية

والتذكير بالخير وطاعة الله ورسوله ، والدعوة إلى حماية الأوطان من كيد الأعداء والاستعداد للأعداء ، ونحو ذلك ، فليس فيها شيء ، أما إذا كان فيها غير ذلك من دعوة إلى المعاصي واختلاط النساء بالرجال أو تكشفهن عندهم ، أو أي فساد كان فلا يجوز استماعها ، نشرت في المجلة العربية - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الجزء الثالث (١)

السؤال الثاني : عندنا جماعة دينية لا داعي لذكر اسمها تبيح الأناشيد الدينية في المسجد وبصوت مرتفع ، ما هو توجيهكم ؟

الجواب : الأشعار العربية ، والأناشيد العربية الإسلامية التي فيها فائدة في مقام العلم والتعليم لا بأس بها ، إذا كان في المسجد حلقة علم ، أو واعظ يعظ الناس ويذكر الناس ويقرأ عليهم بعض الأشعار المفيدة ، والأناشيد الشرعية الطيبة المفيدة لا حرج في ذلك ، فقد كان حسان رضي الله عنه ينشد الشعر في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام ، ويهجوا الكفرة في مسجده صلى الله عليه وسلم ، ويقول له النبي صلى الله عليه وسلم (اهجهم والذي نفسي بيده إنه لأشد عليهم من وقع النبل) ، ويقول : (اللهم أيده بروح القدس) ، فإن كان الأشعار في المساجد ، والأشعار الإسلامية المفيدة النافعة، والأناشيد الطيبة في حلقات العلم أو في المواعظ كل هذا لا بأس به ، أما الأغاني المنكرة ، أو الأشعار المنكرة ، أو الأناشيد المنكرة فلا تجوز لا في المساجد ولا في غيرها (٢)

السؤال الثالث : هل الاستماع إلى الأناشيد الإسلامية فيه شيء؟

الجواب : لا ما فيه شيء ، إذا كانت هذه الأناشيد سليمة ، موافقة للشرع ، ليس فيها منكر فلا بأس (٣)

السؤال الرابع : ما حكم الإسلام في سماع الأناشيد الدينية الخالية من الآلات الموسيقية ؟

الجواب : لا بأس ، إذا كانت سليمة ليس فيها إلا كلام طيب وليس فيها آلات الملاهي فليس فيها حرج (٤)

ثالثا : فتاوى الشيخ محمد العثيمين رحمه الله

السؤال الأول : بارك الله فيكم هذه رسالة وصلت من مستمع للبرنامج المستمع أبو حمزة من المدينة المنورة يقول فضيلة الشيخ ما حكم الشرع في نظركم في الأناشيد الإسلامية أرجو التوضيح بهذا مأجورين ؟

١- موقع الشيخ http://www.binbaz.org.sa/mat/١٧٠٢

٢- موقع الشيخ http://www.binbaz.org.sa/mat/١٧٧٨١

٣- موقع الشيخ http://www.binbaz.org.sa/mat/١٧٩٤٦

٤- موقع الشيخ http://www.binbaz.org.sa/mat/18019

الجواب : الأناشيد الإسلامية لا يمكن الحكم عليها حتى تسمع وينظر ما موضوع الأنشودة وهل أنشدت على وجه التلحين الغنائي الهابط أو أنشدت على وجه الحداء البعيد عن نغمات الغناء الماجن وتلحينه وهل أنشدت بأصوات جميلة جذابة تثير الفتنة وتحرك الساكن أم أنشدت بأصوات عادية لا يحصل بها الفتنة فإذا كان موضوع الأنشودة جيدا لا محذور فيه ولم تلحن تلحين الأغاني السافلة الهابطة ولم يكن فيها أصوات مؤدية إلى الفتنة فإنه لا بأس بها ولكن بشرط ألا تكون ديدن الإنسان بحيث يكب عليها كثيرا وألا يتخذها الواعظ الوحيد لقلبه دون أن يرجع إلى وعظ الكتاب والسنة فهذه ثلاثة شروط الشرط الأول أن يكون موضوع الأناشيد موضعا جيدا غير محظور ويلتحق بهذا الشرط أن لا تلحن تلحين الأغاني الماجنة السافلة وألا تكون بأصوات فاتنة الشرط الثاني ألا يكب عليها كثيرا الشرط الثالث أن لا يجعلها هي الواعظ الوحيد لقلبه بحيث يعرض عن موعظة القرآن والسنة فإذا تمت هذه الشروط الثلاثة وإن شئت فاجعلها خمسة فأرى أنه لا بأس بها أما إذا اختل شرط واحد منها فليُعدل عنها ، مكتبة الفتاوى : فتاوى نور على الدرب (١)

السؤال الثاني : على بركة الله نبدأ هذه الحلقة برسالة وصلت من المستمع أبو عبد الله يقول سمعت بعض الأناشيد الإسلامية وفيها لحون تثبت لحون الغناء نعم تشبه لحون الغناء ولكنها بدون موسيقى وهي بأصوات جميلة فما حكم ذلك علما بأن البعض من الإخوان يتحرج منها ويقول بأنها من أعمال الصوفية أرجو من فضيلة الشيخ إجابة ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين هذه الأناشيد التي سأل عنها السائل وتسمى بالأناشيد الإسلامية دخل فيها بعض ما نحذر منها أنها تغنى كغناء المطربين الذين يغنون بالأغاني الهابطة ومنها أنها تكون بأصوات جميلة جذابة ومنها أنها أحيانا تكون مصحوبة بالتصفيق أو بالدق على طشت أو شبهه والذي جاء في السؤال خال عن التصفيق وخال من الضرب على الطشت وشبهه لكن يقول السائل إنه بألحان كألحان الغناء الهابط وأنه بأصوات جميلة جذابة وحينئذ نرى أن لا يستمع لمثل هذا لما فيه من الفتنة والتشبه بألحان الغناء الماجن وخير من ذلك أن يستمع الإنسان إلى مواعظ نافعة مأخوذة من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والأئمة من أهل العلم والدين فإن في ذلك غنى وكفاية عما سواه والإنسان إذا اعتاد أن لا يتعظ إلا بشيء معين كألحان الغنـــاء

١- موقع الشيخ

.shtml٨٢٢٠http://www.ibnothaimeen.com/all/noor/article_

فإنه ربما لا ينتفع بالمواعظ الأخرى لأن نفسه ألفت ألا يتعظ إلا بهذا الشكل من المواعظ وهذا خطير يؤدي إلى الزهد من موعظة القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال أهل العلم والأئمة فالذي أنصح به أن يتجه الإنسان إلى استماع ما ذكرته من المواعظ التي تشتمل على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأقوال الصحابة وأئمة المسلمين من بعدهم نعم ، مكتبة الفتاوى : فتاوى نور على الدرب (١)

السؤال الثالث : السؤال: أحسن الله إليكم وبارك فيكم فضيلة الشيخ هذا السائل محمد بالقاسم يقول في هذا السؤال أسأل عن الاستماع إلى الأناشيد الإسلامية ما حكمه ؟

الجواب : أولاً ينبغي للإنسان أن لا يستمع إلا إلى شيء يجد فيه منفعة بدون مضرة كالقرآن والأحاديث والأحكام الفقهية وغيرها مما ينتفع به السامع أما الأناشيد فالأناشيد الإسلامية كما يقولون ينظر فيها ما موضوع القصيدة وكيفية أدائها وهل يحصل بها فتنة وهل تصد عن الاتعاظ بالقرآن والسنة فإذا كان موضوع هذه الأناشيد موضوعا باطلا كأناشيد الصوفية مثلا أو نحوها فلا يستمع لها وإذا كان أداؤها على نحو أداء المغنين أصحاب الفن أو على نحو أداء الصوفيين فلا يستمع لها ومن ذلك إذا كان فيها طبل أو ضرب على الأرض وما أشبه ذلك وإذا كانت بأصوات مغرية كأصوات المردان التي قد تثير الشهوة فلا يستمع لها وإذا خشي أن لا يتعظ ، فتاوى نور على الدرب (٢)

السؤال الرابع : أسأل عن حكم الاستماع إلى ما يسمى بالأناشيد الإسلامية بالنسبة للشاب المسلم ؟

الجواب : نعم الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين إني أجيب على هذا السؤال بجوابٍ عام فالأناشيد الخالية من آلاتٍ اللهو أي من الموسيقى والمزمار وما أشبه ذلك إذا كان موضوعها موضوعا مفيدا وأنشدت على الوجه المعروف عند العرب ولم يكن فيها أصواتٌ فاتنة تثير الشهوة لا بأس بها فقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه ينشد الشعر في مسجد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمر به عمر ابن الخطاب ذات يوم وهو ينشد الشعر فلحظه كأنه يستغرب ما فعل فقال له حسان قد كنت أنشد هذا وفيه من هو خيرٌ منك يعني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أما إذا كانت الأناشيد مصحوبة بآلة اللهو كالمزامير والموسيقى والطبول أو

١- موقع الشيخ
.shtml٨٣٠http://www.ibnothaimeen.com/all/noor/article_

٢- موقع الشيخ
.shtml٩١٣٠http://www.ibnothaimeen.com/all/noor/article_

كان موضوعها موضوع غرام وفتنة أو كانت الأصوات فيها مغرية مثيرة للفتنة أو للاستمتاع بالصوت أو أنشدت على تلحين الأغاني الماجنة فإنها لا تجوز ، فتاوى نور على الدرب (١)

رابعا : فتاوى الشيخ عبد الله الجبرين رحمه الله

السؤال الأول : ما رأي سماحتكم في الأناشيد التي نسمعها في عصرنا هذا ؟

الجواب الأول : الشعر مثل الكلام ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح ، ولا شك أن حكم هذه الأناشيد حكم نظم الشعر ثم إلقائه ، فإن كان محتواها مفيدا كالترغيب في الخير ، والتحذير من المعاصي ، وكالمواعظ والزهديات ، والحث على مكارم الأخلاق ، والنهي عن سفاسفها ، وذكر العبادات والنوافل ونحوها ، فإن ذلك مباح ، لكن يكون إنشادها عاديا ، بدون ترنم وتمايل ، ونغمات مثيرة للأشجان ، أما إن احتوت على التشبيب، والدفع إلى الغرام ، ووصف الخدود والقدود ، وإثارة الغرائز، والدعاية إلى الجرائم ، وذكر المحرمات ، والنداء إلى اقتراف الفواحش ، وما إلى ذلك فهو محرم بأي صوت أو بأي لغة ، فالعبرة بالمحتوى ، ومعنى ذلك الشعر، وكذا بحال الإلقاء من الترنم والتغنج ونحوه ، اللؤلؤ المكين (٢)

السؤال الثاني : لدي في سيارتي أشرطة غناء ، وأخرى أشرطة قرآن ، وأخرى أناشيد إسلامية ، وأنوع في سماعها ، فتارة أسمع الغناء ، وتارة أسمع أشرطة القرآن ، وتارة أسمع الأناشيد الإسلامية ، فما حكم هذا العمل ؟

الجواب الثاني : سماع الأغاني حرام إذا كانت مُلحنة أو مُطربة أو معها موسيقى ؛ وذلك لما فيها من أسباب الانحراف والدعوة إلى اقتراف الحرام ، وإلى الوقوع في الفواحش أو مقاربتها ؛ ولأن ذلك من لهو الحديث الذي ذم الله أهله ومقتهم ؛ فننصحك بإبعاد أشرطة الأغاني ، والاقتصار على أشرطة القرآن والأناشيد الإسلامية التي تحوي فوائد ونصائح إذا لم تكن ملحنة ؛ ففيها ما يكون مفيداً وشاغلا عن استماع المحرم. والله أعلم (٣)

السؤال الثالث : ما حكم الإكثار من سماع الأناشيد الإسلامية ؟

الجواب الثالث : ننصح بسماعها إذا كانت فيها شيء من الحماس ؛ ولكن الإكثار من ذلك والإنكباب عليه من الشواغل والقواطع عن الخير ، وعن الاستكثار من العلم (٤)

١- موقع الشيخ http://www.ibnothaimeen.com/all/noor/article_٨٨١٦.shtml

٢- موقع الشيخ http://www.ibn-jebreen.com/book.php?cat=٦&book=٦٧&page=٣٩٢٠

٣- موقع الشيخ http://www.ibn-jebreen.com/ftawa.php?view=vmasal&subid=١٢٧٩١&parent=٤١٦٠

٤- موقع الشيخ http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=٩&book=٢٢١&toc=٨٦٥٨&page=٧٥٥٠&subid=١٨٤٦٧

خامسا : فتاوى الشيخ صالح الفوزان حفظه الله

السؤال الأول : كثر الحديث عن الأناشيد الإسلامية ، وهناك من أفتى بجوازها وهناك من قال إنها بديل للأشرطة الغنائية ، فما رأي فضيلتكم ؟

الجواب : هذه التسمية غير صحيحة وهي تسمية حادثة فليس هناك ما يسمى بالأناشيد الإسلامية في كتب السلف ومن يعتقد بقولهم من أهل العلم والمعروف أن الصوفية هم الذين يتخذون الأناشيد دينا لهم ، وهو ما يسمونه السماع ، وفي وقتنا لما كثرت الأحزاب و الجماعات صار لكل حزب أو جماعة أناشيد حماسية ، قد يسمونا بالأناشيد الإسلامية ، وهذه التسمية لا صحة لها ، وعليه فلا يجوز اتخاذ هذه الأناشيد و لا ترويجها بين الناس ، و بالله التوفيق (١)

السؤال الثاني : فى هذا العصر كثرت وسائل الدعوة إلى الله وفى بعضها شبهة عندي مثل التمثيل والأناشيد فهل هي جائزة أم لا مع أن بعضهم قيد نجاحها خاصة مع النشء ومن يحب الخير؟

الجواب الثاني : هذا الوسائل مُورست فى الدعوة التي هي التمثيل والأناشيد ونحو ذلك ، والأناشيد تختلف عن التمثيل ، الأناشيد فيما أعلم من كلام علمائنا الذين يُصار إلى كلامهم بالفتوى أنهم على عدم جوازها ؛ لأن الأناشيد أتت عن طريق - يعنى فى الخارج -أتت عن طريق الإخوان المسلمين ، والإخوان المسلمون كان من أنواع التربية عندهم بالأناشيد ، والأناشيد كانت ممارسة فى الطرق الصوفية كنوع من التأثير على المريدين ، فدخلت كوسيلة من الوسائل ، وبحكم التجارب أو بحكم نقل الوسائل دخلت هاهنا فى هذه البلاد ، ومورست فى عدد من الأنشطة ، أفتى أهل العلم لما ظهرت هذه الظاهرة بأنها لا تجوز ، وقد قال الإمام أحمد فى التغبير الذي أحدثه الصوفية ، وهو شبيه بالأناشيد الموجودة حاليا ، قال إنه محدث وبدعة وإنما يراد منه - هذا كلام الإمام أحمد - الصد عن القرآن وكانوا يسمونه بالسماع المحمود وهو ليس بسماع محمود بل مذموم(٢)

وقال أيضا : أما ما تسمونه بالأناشيد الإسلامية : فقد أعطي أكثر مما يستحق من الوقت ، والجهد ، والتنظيم ، حتى أصبح فنّا من الفنون ، يحتل مكانا من المناهج الدراسية ، والنشاط المدرسي ، ويقوم أصحاب التسجيل بتسجيل كميات هائلة منه للبيع والتوزيع ، حتى ملأ غالب البيوت ، وأقبل على استماعه كثير من الشباب والشابات ، حتى شغل كثيرا من وقتهم ، وأصبح استماعه يزاحم تسجيلات القرآن الكريم ، والسنَّة النبوية ، والمحاضرات ، والدروس العلميَّة المفيدة (٣)

١- مجلة الدعوة عدد ١٦٣٢ - ص٥٨

٢- محاضرة للشيخ بعنوان كيف تدعو إلى الله

٣- البيان لأخطاء بعض الكتاب ص ٣٤٢

سادسا : فتاوى الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله

السؤال : ما حكمِ التصفيق للنساء في الأعراس عندما يصاحبها إنشاد الأناشيد الإسلامية ؟

الجواب : أولا ما يسمى بالأناشيد الإسلامية و استعماله في حفلات الزواج هذا غير مشروع ، فإن الإسلام دين جد وعمل ، وما يسمى بالأناشيد الإسلامية هذا استعمال للأذكار في غير محلها ، و لا ينبغي للناس أن يستعملوا ما يسمى بالأناشيد لأن فيها أشياء من ذكر الله في هذا الحفل أو ما يصاحبها من تصفيق ونحو ذلك ، فإن هذه الأناشيد و التصفيق وما يصاحبها من أخلاق الصوفية ، والله جل وعلا قد قال عن المشركين (وما كان صلاتهم عند المسجد الحرام إلا مكاء وتصدية (فالتصفيق مع هذه الأناشيد الإسلامية غير مشروعة لأنها عبارة عن غناء لكن منسوبة إلى الإسلام ، و لا يصح هذا) (١)

سابعا : فتاوى الشيخ عبد العزيز الراجحي حفظه الله

السؤال : كثرت الأسئلة حول الأناشيد الإسلامية التي أصبح الشباب يستمعون أليها بكثرة ، فما رأيكم في ذلك ؟

الجواب : أرى أن الأناشيد الإسلامية لا تجوز ، لا سيما الموجودة في الساحة الآن ، فإنها أناشيد مطربة فيها تأوهات تشبه تأوهات الأغاني ، فأنت لا تفرق بين الأناشيد و بين الغناء إذا سمعتها ، حتى و لو كان ينشد واحد ، تجده ينشد و لكن يتأوه مثل تأوهات المغني لا فرق ، و قيل لي أن بعضهم جعل معها مزمار و بعضهم أيضا أناشيد في المولد ، هذا أعظم و أعظم ، و العياذ بالله ، و صارت فتنة ، و الأناشيد الجماعية ، لو سلمت من التأوهات و المزمار وكذا ، فإنها فيها مشابهة للصوفية ، الصوفية هم الذين يتعبدون بالأناشيد ثم أيضا الأناشيد الآن فيها طرب ، لان الذي يستمع الأناشيد حتى ولو كانت مفيدة ، معناه لا يتأمل المعنى ولا يتدبر ، إنما يتلذذ بالصوت ، متى يرفعون الصوت ومتى ينزلون الصوت فقط ، لا يتأمل المعنى ، لكن إذا كانت القصيدة مفيدة طيبة ينشدها واحد بصوت عادي و الباقي يستمعون ، كما أن القارئ يقرأ القرآن واحد و الباقي يستمعون ، و يقرأ الحديث واحد و الباقي يستمعون ، ينشد القصيدة المفيدة إذا ما كان فيها غزل و لا هجاء ولا لبس الحق بالباطل و ليس فيها محذور ، فانه ينشد واحد بصوت عادي عير ملحن و ليس فيه تأوهات و لا مزمار ولا كذا ، والباقي يستمعون ، أما أن يكون جماعة يرفعون الصوت و ينزلونه ، هذا ولو كان معناها مفيد وجيد ، لا ينتبه للمعنى ، إنما ينتبه للصوت ، ويتلذذ بالصوت متى يرفعونه و متى ينزلونه ، وفيه مشابهة للصوفية ، فأنا أنصح الشباب بترك هذه الأناشيد ، و إذا كانت القصيدة مفيدة يقرأها واحد بصوت عادي لا تأوهات ولا تلحين و الباقي يستمعون حتى يستفيدون (٢)

١- مجلة الدعوة – عدد ١٧٠٦

٢- من شريط أقوال العلماء في حكم التمثيل والأناشيد، وراجع موقع الشيخ بالإنترنت

ثامنا : فتاوى الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

السؤال : ما حكم غناء واستماع الأغاني التي تشيد بالرسول وأهل بيته وصحابته ومكارم الأخلاق ، فهي تطرب الروح وتسمو بها ولا تثير الغرائز ؟

الجواب لقد دلَّ الكتاب والسنة على تحريم الغناء ، والغناء الذي ورد النهي عنه هو إنشاد الشعر بالألحان ولا سيما مع آلات العزف ، وقد جاء عن الصحابة رضي الله عنهم تفسير الزور في قوله (والذين لا يشهدون الزور) [الفرقان:٧٢] وتفسير لهو الحديث في قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) [لقمان:٦] وتفسير صوت الشيطان في قوله تعالى (واستفزز من استطعت منهم بصوتك] "الإسراء:٦٤] وتفسير اللغو في قوله تعالى (وإذا مروا باللغو) [الفرقان:٧٢] جاء عن السلف تفسير هذا كله بالغناء ، وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال(الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) (رواه أبو داود ٤٩٢٧) مرفوعا بسند ضعيف ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٢٣/١٠) موقوفاً ، وانظر تلخيص الحبير (٢١١٣) وجاء عن السلف قولهم (الغناء رقية الزنى) ولا ريب أن الشعر الملحن مع الآلات يُطرب ، ومصدر الطرب هو الأصوات والأنغام ، بقطع النظر عن المعاني ، ولكن لا ريب أن الغناء أنواع فبعضه شر من بعض ، فالغناء الذي يثير غرائز الجنس ويهيّج على فعل الحرام من الزنى أو الظلم والعدوان ، أو يُحبب ما يبغضه اللهٍ ورسوله من الأقوال والأفعال أنه أقبح من الغناء الذي يسميه أهله غناءً دينيا ، ويضمنونه معاني صحيحة ، وقد يضمنونه مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل البيت ، وهذا المدح تارة يكون مشوبا بالغلو ، وحينئذ فإنه مع ما يورثه من الطرب واللهو فإنه يغرس في القلب الغلو في الدين ومنه الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم ، والغلو في أهل بيته ، وأهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم أغنياء بما أكرمهم الله به من الفضائل عن الغلو في إطرائهم ، فالواجب اجتناب الغناء كله ، والإقبال على سماع القرآن والحديث ، ولا بأس بقراءة الشعر غير ملحن وغير مقرون بالآلات ، وهو الشعر النظيف المشتمل على الترغيب بالفضائل ومكارم الأخلاق ، أو مدح من يستحق المدح بحق وباعتدال دون إفراط وتجاوز للحدود ، ودون توسع في ذلك ، فإن التوسع في المباح لا بد أن يكون على حساب الأعمال الصالحة الجليلة ، والعاقل الحازم هو من يؤثر الأعلى على الأدنى ، ويقدم الأفضل على الفاضل ، فأوصي السائل وكل من يقرأ هذا الجواب ألا يغتر بهذه الأشعار التي هي مما يعتني به المتصوفة الذين يتدينون ويعبدون الله بسماع القصائد ، ويستغنون بها عن سماع القرآن ، ويظنون أنهم بذلك محسنون ، فهم مبتدعون ومسيؤون من حيث يشعرون أولا يشعرون ، وقد تكون هذه الأشعار الدينية الصوفية أقبح من الأشعار التي تثير الغرائز، من جهة ما يخشى منها من غرس البدع الاعتقادية ، ومن التدين بما لم يشرعه الله ، فأصحاب هذا السماع يقبلون عليه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، بينما المفتونون

بالأغاني الخليعة يعترفون بأنهم عاصون في ذلك ، ويهمون بالتوبة ، ويجاهدونٍ أنفسهم في ذلك ، بينما لا يفكر بذلك أصحاب السماع المبتدعٍ؛ لأنهم يظنونه دينا وهو من دين الشيطان (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) [فاطر:٨] فينبغي للسائل وغيره أن يقرأ ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في هذا الشأن سيما كتابه في تحريم السماع وهو مطبوع مشهور (١)

تاسعا : الشيخ العلامة حمود التويجري رحمه الله

قال رحمه الله : إن بعض الأناشيد التي يفعلها كثير من الطلاب في الحفلات والمراكز الصيفية و يسمونها الأناشيد الإسلامية ، ليست من أمور الإسلام لأنها مزجت بالتغني و التلحين و التطريب الذي يستفز المنشدين و السامعين و يدعوهم للطرب و يصدهم عن ذكر الله و تلاوة القرآن و تدبر آياته و التذكر بما جاء فيه من الوعد و الوعيد و أخبار الأنبياء و أممهم ، وغير ذلك من الأمور النافعة لمن تدبرها حق التدبر وعمل بما جاء فيها من الأمور ، و اجتنب ما فيها من المنهيات ، وأراد بعلمه و أعماله وجه الله عز و جل ، وقال رحمه الله : من قاس الأناشيد الملحنة بألحان الغناء على رجز الصحابة رضي الله عنهم حين كانوا يبنون المسجد النبوي ، و حين كانوا يحفرون الخندق ، أو قاسها على الحداء الذي كان الصحابة رضي الله عنهم يحثون به على الإبل في السفر فقياسه فاسد ، لأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يتغنون بالأشعار و يستعملون فيها الألحان المطربة التي تستفز المنشدين و السامعين كما يفعل ذلك الطلاب في الحفلات و المراكز الصيفية ، و إنما كان الصحابة رضي الله عنهم يقتصرون على مجرد الإنشاد للشعر مع رفع الصوت بذلك ، و لم يذكر عنهم أنهم يجتمعون على الإنشاد بصوت واحد كما يفعله الطلاب في زماننا ، و الخير كل الخير في إتباع ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحاب رضي الله عنهم ، و الشر كل الشر في مخالفتهم ، و الأخذ بالمحدثات التي ليست من هديهمٍ و لم تكن معروفة في زمانهم ، و إنما هي البدع الصوفية الذين اتخذوا دينهم لهوا و لعبا ، فقد ذكر عنهم أنهم كانوا يجتمعون على إنشاد الشعر الملحن بألحان الغناء في الغلو و الإطراء للنبي صلى الله عليه و سلم ، و يجتمعون على مثل ذلك فيما يسمونه بالأذكار، و هو في الحقيقة استهزاء بالله و ذكره ، و من كانت الصوفية الضالة سلفا لهم و قدوة فبئس ما اختاروا لأنفسهم ، و قال رحمه الله : إن تسمية الأناشيد الملحنة بألحان الغناء باسم الأناشيد الإسلامية يلزم عنه لوازم سيئة جدا و خطيرة ، منها :

١- موقع الشيخ

http://albarrak.islamlight.net/index.php?option=com_fatawa&task=view&id=25204

١- جعل هذه البدعة من أمور الإسلام ومكملاته ، وهذا يتضمن الاستدراك على الشريعة الإسلامية ، و يتضمن القول بأنها لم تكن كاملة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ٠

٢- معارضة قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) ففي هذه الآية الكريمة النص على كمال الدين لهذه الأمة ، و القول بأن الأناشيد الملحنة أناشيد إسلامية يتضمن معارضة هذا النصِ بإضافة الأناشيد التي ليست من دين الإسلام إلى دين الإسلام و جعلها جزءا منه ٠

٣- نسبة الرسول صلى الله عليه و سلم إلى التقصير في التبليغ و البيان لأمته حيث لم يأمرهم بالأناشيد الجماعية الملحنة و يخبرهم أنها أناشيد إسلامية

٤- نسبة الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضوان الله عليهم إلى إهمال أمر من أمور الإسلام و ترك العمل به ٠

٥- استحسان بدعة الأناشيد الملحنة بألحان الغناء ، و إدخالها في أمور الإسلام ، و قد ذكر الشاطبيٍ في كتاب الاعتصام ما رواه ابن حبيب عن ابن الماجشون قال : سمعت مالكا يقول (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خانٍ الرسالة ، لأن اللهٍ يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا) ٠(١)

عاشرا : الشيخ أحمد النجمي رحمه الله

قال رحمه الله : الملاحظة التاسعة عشر(على الإخوان المسلمين) : الإكثار من الأناشيد ليل نهار، و تنغيمهم لها ، أي تلحينهم لها ، و أنا لا أحرم سماع الشعر، فقد سمعه النبي صلى الله عليه و سلم ، و لكن هؤلاء ينهجون في هذه الأناشيد مذهب الصوفية في غنائهم الذي يثير الوجد ما يزعمون ، و قد ذكر ابنٍ الجوزي في كتابه (نقد العلم و العلماء) عن الشافعي أنه قال : خلفت بالعراق شيئا أحدثته الزنادقة ، يشغلون الناس به عن القرآن ، يسمونه التغبير ، قال المصنف رحمه الله ابن الجوزي : و ذكر أبو منصور الأزهري (المغبرة) قوم يغبرونٍ بذكر الله بدعاء و تضرع و قد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تغبيرا، كأنهم إذا شاهدوهم بالألحان طربوا و رقصوا فسموا مغبرة بهذا المعنى ، وقال الزجاج : سموا مغبرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا و ترغيبهم في الآخرة ، قلت (الخطاب للشيخ النجمي) : عجيب أمر الصوفية يزعمون أنهم يزهِدون الناس في الدنيا بالغناء ، و يرغبونهم في الآخرة بالغناء ، فهل الغناء يكون سببا في الزهد في الدنيا و الرغبة في الآخرة ، أم العكس هو الحقيقة ، أنا لا أشك و لا يشك أحد عقل عن رسول ﷺ أن الغناء لا يكــون

١- إقامة الدليل على المنع من الأناشيد الملحنة والتمثيل ص ٦ وما بعدها

إلا مرغباً في الدنيا مزهداً في الآخرة و مفسداً للأخلاق ، مع العلم أنهم إذا قصدوا به الترغيب في الآخرة فهو عبادة ، و العبادة إن لم يشرعها رسول الله صلى الله عليه و سلم فهي بدعة محدثة ، و لهذا نقول : إن الأناشيد بدعة.(١)

حادي عشر : معالي الشيخ صالح آل الشيخ

السؤال : في هذا العصر كثرت وسائل الدعوة إلى الله و في بعضها شبهة عندي مثل التمثيل و الأناشيد، فهل هي جائزة أم لا ؟

الأناشيد فيما أعلم من كلام علمائنا الذين يصار إلى كلامهم في الفتوى ، أنهم على عدم جوازها ،لأن الأناشيد أتت عن الإخوان المسلمين ، والإخوان المسلمين كان من أنواع التربية عندهم الأناشيد ، والأناشيد كانت ممارسة بالطرق الصوفية كنوع من التأثير على المريدين ، فدخلت كوسيلة من الوسائل ، وبحكم التجارب أو بحكم نقل الوسائل ، دخلت هاهنا في البلاد وموروست في عدد من الأنشطة ، أفتى أهل العلم لما ظهرت هذه الظاهرة بأنها لا تجوز ، وقال الإمام أحمد في التغبير الذي أحدثته الصوفية ، وهو شبيه بالأناشيد الموجودة حالياً ، قالوا إنه محدث وبدعة ، وإنما يراد منه الصد عن القرآن ، وهذا كلام الإمام أحمد ، وكانوا يسمونه بالسماع المحمود وهو ليس بسماع محمود بل مذموم هذا بالنسبة للأناشيد(٢)

ثاني عشر : الشيخ العلامة عبد المحسن العباد

قال حفظه الله في جوابه عن سؤال عن حكم الأناشيد الإسلامية : الإنسان عليه أن يشغل وقته فيما يعود عليه بالخير والنفع في الدنيا والآخرة ، فيشتغل بذكر الله وقراءة القرآن وقراءة الكتب النافعة ، وكذلك يطلع على الشعر الطيب الذي يدل على مكارم الأخلاق وعلى الآداب الطيبة ، وأما هذه الأناشيد التي ظهرت في الآونة الأخيرة والتي يجتمع مجموعة وينشدون بصوت واحد بترنم ، ويسجل ذلك ثم ينشر، ويشتغل به كثير من الناس ، فإن هذا لا ينبغي الاشتغال به ولا ينبغي الاهتمام به ، لأن المهم هو المعاني الطيبة ، وسماع الأمور الطيبة ، أما عشق الأصوات ، و الحرص على الاستمتاع بالأصوات فإن هذا لا يليق ولا ينبغي (٣)

ثالث عشر : محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

قال رحمه الله : إذا كانت هذه الأناشيد ذات معانٍ إسلامية ، و ليس معها شيء من المعازف وآلات الطرب كالدفوف و الطبول و نحوِها ، فهذا أمرٌ لا بأس به ، و لكن لابد من بيان شرطٍ مهم لجوازها ، وهو أن تكونَ خاليةٍ من المخالفات الشرعية ؛ كالغلوّ ، و نَحوِه ، ثم شرط آخر ، و هو عدم اتخاذها دَيدَنا ، إذ ذلك يصرِفُ سامعيها

١- المورد العذب الزلال ص ١٩٦

٢- شريط بعنوان) فتاوى العلماء في ما يسمى بالأناشيد الإسلامية)

٣- القول المفيد في حكم الأناشيد تأليف عصام المري

عن قِراءة القرآن الذي وَرَدَ الحضُّ عليه في السُنَّة النبوية المطهرة ، وكذلك يصرِفهُم عن طلب العلم النافع ، و الدعوة إلى الله سبحانه .(١)

رابع عشر : فضيلة الشيخ عبدالرحمن السحيم رحمه الله

ما يتعلق بالأناشيد الإسلامية فقد ورد فيها الخلاف بناء على طبيعة الأناشيد اليوم ، والذي يترجح من خلال النظر في الأدلة أن الأناشيد إذا ضُبطت بالضوابط التالية أنه لا حرَج فيها والضوابط هي :

١ - أن لا تشتمل على آلة موسيقية ، أو ما في حُكمها مِن المؤثِّرات .

٢ - أن لا تشتمل على كلماتِ فحش ودعوة إلى سفاسف الأمور

٣ - أن لا تكون على ألحَان الأغاني

٤ - أن لا تُلهي عن العلم النافع

وهذه الضوابط أجابني بنحوها شيخنا العثيمين رحمه الله حينما سألتنه عنها عام ١٤٠٨ تقريبا ، وقد دلّت الأدلة على جوازها ، فقد روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لِحَادِيهِ - الذي يحدو ويُنشد بصوت حسَن - : ويحك يا أنجشة ! رويدك سوقك بالقوارير . قال أبو قلابة : فتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه قوله : سوقك بالقوارير ، وفي رواية لمسلم قال أنس : كان لرسول الله ﷺ حَاد حسن الصوت فقال له رسول الله ﷺ : رويداً يا أنجشة لا تكسر القوارير . يعني ضعفة النساء ، كما كان عامر بن الأكوع ممن يُنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كان بعض أصحاب النبي ﷺ يطلب منه سماع ذلك في السفر . قال سلمة بن الأكوع : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فقال رجل من القوم : أي عامر لو متعتنا من هناتك ، فنزل يحدو لهم ، وفي رواية للإمام أحمد : أنه حين خرج إلى خيبر جعل يرجز بأصحاب رسول الله ﷺ وفيهم النبي ﷺ ، وعامر يسوق الركاب وهو يقول :

تالله لــو الله مـــــــا اهتدينا
ولا تـــــــــصدقنا ولا صلينا
إن الذين قد بـــــــــغوا علينا
إذا أرادوا فتنـــــــــــة أبينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا
فثبتِ الأقـــــــــدام إن لاقينا
وأنزِلنّ سَكينـــــــــة علينا

١- العدد الثاني من مجلة الأصالة ، الصادر بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ وفتاوى مهمة لنساء الأمة ٢٨٩ - ٢٩٠

فقال رسول الله ﷺ : مَن هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع . قال : يرحمه الله ، فقال رَجُل مِن القوم : يا رسول الله لو متعتنا به ، فلما أصابوا القوم قاتلوهم وأصيب عامر رضي الله عنه .
فالشاهد أن الحداء بالصوت الحسن كان معروفا ، ويحتاج إلى تقييده بالقيود السابقة كما تقدّم ، وسُئل شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله عن حكم استماع أشرطة الأناشيد الإسلامية ، فأجاب رحمه الله : الأناشيد تختلف ؛ فإذا كانت سليمة ليس فيها إلا الدعوة إلى الخير والتذكير بالخير وطاعة الله ورسوله والدعوة إلى حماية الأوطان مِن كيد الأعداء والاستعداد للأعداء ، ونحو ذلك ؛ فليس فيها شيء . أما إذا كان فيها غير ذلك من دعوة إلى المعاصي واختلاط النساء بالرجال أو تكشفهن عندهم أو أي فساد كان ؛ فلا يجوز استماعها . (مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله) ، وقال شيخنا الإمام ابن عثيمين رحمه الله : الأناشيد الإسلامية كثر الكلام حَولها ، وأنا لم أستمع إليها إلا مِن مُدّة طويلة ، وهي أوّل ما خَرَجت لا بأس بها ، ليس فيها دُفوف ، وتُؤدّى تأدية ليس فيها فِتنة ، وليست على نغمات الأغاني المحرمة ... (اللقاء الشهري) ، وقال رحمه الله : الأناشيد الإسلامية لا يُمكن الحكم عليها حتى تُسمع ويُنظر ما موضوع الأنشودة ، وهل أُنشِدَت على وَجه التلحين الغنائي الهابط أو أُنشِدَت على وجه الحداء البعيد عن نَغمات الغناء الماجن وتلحينه ، وهل أُنشِدت بأصوات جميلة جَذّابة تثير الفتنة وتُحرّك الساكن ، أم أُنشِدت بأصواتٍ عادية لا يحصل بها الفتنة ، فإذا كان موضوع الأنشودة جيدا لا مَحذور فيه ، ولم تُلحّن تلحين الأغاني السافلة الهابطة ، ولم يكن فيها أصوات مُؤدّية إلى الفتنة ؛ فإنه لا بأس بها ، ولكن بشرطِ ألا تكون دَيْدَن الإنسان بحيث يُكِبّ عليها كثيرا ، وألا يتَخِذها الوَاعظ الوحيد لِقلبه دون أن يَرجع إلى وَعْظ الكتاب والسنة ، فهذه ثلاثة شروط :
الشرط الأول : أن يكون موضوع الأناشيد موضوعا جيدا غير محظور ، ويلتحق بهذا الشرط : أن لا تُلحّن تلحين الأغاني الماجنة السافلة ، وألا تكون بأصوات فاتِنة
الشرط الثاني : ألا يُكبّ عليها كثيرا .
الشرط الثالث : أن لا يَجعلها هي الواعظ الوَحيد لِقَلْبه ، بحيث يُعرِض عن مَوعظة القرآن والسنة .
فإذا تمت هذه الشروط الثلاثة - وإن شئت فاجْعَلْها خَمسة - فأرى أنه لا بأس بها ، أما إذا اختلّ شَرط واحد منها فليُعدل عنها . (فتاوى نور على الدرب) ، وقوله رحمه الله : " وإن شئت فاجْعَلها خَمسة " يعني الشروط الثلاثة ، بالإضافة إلى الشرطين اللذين ذَكرهُما في الشرط الأول ، وهُما : أن لا تُلحّن تلحين الأغاني الماجنة السافلة وألا تكون بأصوات فاتِنة (١) .

١- شبكة المشكاة
=http://www.almeshkat.net/vb/showthread.php?t=8740&highlight

خامس عشر : الشيخ محمَّد علي فركوس : فتجدِرُ الملاحَظةُ . أوَّلًا . أنَّ تقييدَ الأناشيدِ المتضمِّنةِ للأشعار والأرجاز بكونها «إسلامية» أو «دينية» غيرُ معروفٍ عند خيرِ الناس مِنَ القرون المفضَّلة ولا مَنْ بعدهم، وإنما كانوا يُفرِّقون بين الحسَنِ والقَبيحِ مِنَ الشِّعر والرَّجَزِ، أو بين المحمود والمذموم، أو بين ما يُكرَهُ وما يجوز ، أمَّا الأناشيدُ إنْ كانَتْ عبارة عن أشعارٍ أو أرجازٍ تُرنَّم لإظهار السرور بها أو قطعِ المسافاتِ في الأسفار أو ترويحِ النفس، وكانَتْ مُشْتَمِلة على مَواعِظ وأمثالٍ وحِكَمٍ، وخاليةً مِنَ المعازِف وآلاتِ الطَرب باستِثناء الدفِّ في العيد والعرس، وكانَتْ سالِمَةً مِنَ الفحْشِ والخنَا الذي يُثير الشهوة ويدفع إلى الفاحشة أو يَصِفُ محاسِنَ المرأةِ والخمرة ويشجِّع على شُرْبِها، ولم يتضمَّن الشِّعْرُ شركا بالله تعالى أو كذِبًا على الله ورسولِه صلى الله عليه وسلم وأصحابِه رضي الله عنهم؛ فلا مانِعَ منها إذ لا محذورَ فيها، لكِنَّ الإكثار مِنَ الترنُّم بها أو الاستماعِ إليها غيرُ ممدوحٍ بل مرغوبٌ عنه؛ إذ ليس كلُّ مُباحٍ يُباحُ على الإطلاق، وخاصَّة إذا كانَتْ تصرف سامِعَها عن قراءةِ القرآن أو عن طلَبِ العلم النافع أو الدعوةِ إلى الله تعالى، وقد أقرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلَّم على الشِّعر والرَّجَز والحداء، وبوَّب البخاريُّ . رحمه الله .: «بابُ ما يجوز مِنَ الشعر والرَّجَز والحِداء وما يُكْرَه منه»(١)، وكان البراءُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه يحدو بالرجال، وكان أنْجَشَة يحدو بالنساء . وكان حَسَنَ الصوت . فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالقَوَارِيرِ»(٢)، والحُداءُ في الغالبِ إنما يكون بالرَّجَز وقد يكون بغيرِه مِنَ الشعر، وهو ضَرَبٌ مِنَ الغناء، وشبيهُه غناءُ الركبان وغناءُ النصب، وقد نَقلَ ابنُ عبدِ البرِّ . رحمه الله . جوازَ هذه الأوجه جميعًا . بلا خلافٍ . إنْ سَلِمَ الشعرُ مِنَ الفحش والخنَا ، أمَّا الأناشيد المسمَّاة إسلامية، التي تُقام على وجهٍ يُنْشَد فيه الشعرُ بالألحان والتنغيم استجلابًا للتطريب في حِلَقِ الذِّكر وغيرها، وقد يُصاحِبُه بعضُ المعازِف وآلاتِ الطرب كالدفِّ والطبلِ والقضبان وغيرها؛ فهذا أشْبَهُ بالتغبير الذي ذمَّهُ الشافعيُّ وأحمد وغيرُهما مِنَ الأئمَّة المتقدِّمين، فقدْ صحَّ عن الشافعيِّ . رحمه الله . أنه قال: «خلفتُ بالعراق شيئًا يسمَّى: التغبيرَ وضعَتْه الزنادقةُ، يشغلون به الناسَ عن القرآن»(٣)، وصحَّ عن أحمد . رحمه الله . أنه قال عنه: «بدعةٌ مُحْدَثةٌ»(٤) ، ويكفي أنَّ المذاهب الأربعة اتَّفقوا على تحريمِ آلات الطرب تحريمًا كُليًّا إلَّا ما استثناه الدليلُ وهو الدُّفُّ في النكاح والعيد، وقد وردَتْ نصوصٌ كثيرةٌ مِنَ الكتابِ والسُّنَّة تذمُّ آلةَ الطرب وتمنعها(٥)، منها: قولُه صلى الله عليه وسلم: «صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ: صَوْتُ مِزْمَارٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ، وَصَوْتُ وَيْلٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ»(٦)، وقولُه صلَّى الله عليه وسلَّم: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ»(٧)، وغيرُها مِنَ الأدلَّة الشرعية ، هذا ، وأمَّا اتِّخاذُ اللهوِ والغناءِ وسيلة للدعوة إلى الله فلا يخفى على عاقلٍ عَدَمُ مشروعيته؛ لأنَّ ممارسةَ

العملِ الدعويِّ ومباشَرتَه دون معرفةِ حُكْمِه والاستنادِ إلى دليلِه الشرعيِّ تحكُّمٌ واتِّباعٌ للهوى، وهو مردودٌ على صاحِبِه؛ إذ لا يجوز الخروجُ عن الحكم الشرعيِّ في المناهج والمقاصد والوسائل؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية]، وقولِه صلَّى الله عليه وسلَّم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٨)؛ فوسائلُ الدعوةِ إلى الله ينبغي موافَقتُها للنصوصِ الشرعيةِ العامَّةِ أو الخاصَّةِ وقواعدِ الشرعِ الكليةِ، وإذا كانَتْ وسيلةُ الغناءِ تابعةً لمقاصدَ طائفيةٍ أو تخدمُ أغراضًا حزبيةً أو جهويةً فتُمنَعُ بحكمِ تبعيَّتِها؛ لأنَّ طرُقَ المناهي والمكروهاتِ تابعةٌ لها، و«النَّهْيَ عَنِ الشَّيْءِ نَهْيٌ عَمَّا لا يَتِمُّ اجْتِنَابُهُ إِلَّا بِهِ»، وإذا كانَتْ وسيلةُ الغناءِ تمثِّل شعارًا خاصًّا بجماعةٍ معيَّنةٍ ذاتِ مَنْحًى عقديٍّ تدعو إليه، أو طائفيٍّ أو حزبيٍّ تسير على منهجه؛ فإنَّ الوسيلةَ تُمنَعُ لِتَعلُّقِ وصفٍ منهيٍّ بها؛ فلذلك سيَّبَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم وسيلةَ النفخِ في البوقِ للدعوةِ إلى الصلاةِ لكونه شعارَ اليهود، وتخلَّى عن الضرب بالناقوس لكونه شِعارَ النصارى، وتَرَكَ إيقادَ النارِ لكونه شِعارَ المجوس(٩) ، والعلم عند الله تعالى، وآخِرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالَمين، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وإخوانِه إلى يومِ الدِّين، وسلَّم تسليمًا.

---

(١) «صحيح البخاري بشرح فتح الباري» (١٠/ ٥٣٦)، في «الأدب» باب رقم: (٩٠).

(٢) أخرجه البخاريُّ في «الأدب» بابُ ما يجوز مِنَ الشِّعر والرَّجَز والحُداء وما يُكْرَه منه (٦١٤٩)، ومسلمٌ في «الفضائل» (٢٣٢٣)، مِنْ حديثِ أنسٍ رضي الله عنه.

(٣) انظر: «الأمر بالاتِّباع والنهي عن الابتداع» للسيوطي (١/ ٨)، و«نزهة الأسماع» للحافظ ابنِ رجب (ص ٨٦).

(٤) انظر: «المسائل والرسائل المرويَّة عن الإمام أحمد بنِ حنبلٍ في العقيدة» للأحمدي (٢/ ٢٧٥).

(٥) للشيخ الألبانيِّ ـ رحمه الله ـ رسالةٌ نُشِرَتْ في الردِّ على ابنِ حزمٍ ـ رحمه الله ـ ومَنْ تَبِعه في إباحته لآلات الطرب تحقيقًا وتفنيدًا، موسومةٌ بـ: «تحريم آلات الطرب».

(٦) أخرجه البزَّار (١/ ٣٧٧/ ٣٩٥) مِنْ حديث أنسٍ رضي الله عنه. وصحَّحه ابنُ القيِّم في «مسألة السماع» (٣١٨)، وحسَّنه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (٤٢٧).

(٧) أخرجه البخاريُّ في «الأشربة» بابُ ما جاء فيمَنْ يَستحِلُّ الخمرَ ويُسمِّيهِ بغيرِ اسْمِه (٥٥٩٠) مِنْ حديثِ أبي عامرٍ أو أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنهما. قال الألبانيُّ ـ رحمه الله ـ في «السلسلة الصحيحة» للألباني (١/ ١٨٦) رقم: (٩١): «رواه البخاريُّ في «صحيحه» تعليقاً .. وقد وَصَله الطبرانيُّ (١/ ١٦٧/ ١)، والبيهقيُّ (١٠/ ٢٢١)، وابنُ عساكر (١٩/ ٧٩/ ٢) وغيرُهم مِنْ طُرُقٍ عن هشام بنِ عمَّارٍ به»، وقد رجَّح وَصْلَه النوويُّ في «شرح مسلم» (١/ ١٨)، وكذا ابنُ حجرٍ في «فتح الباري» (١٠/ ٥٢).

(٨) أخرجه مسلمٌ في «الأقضية» (١٧١٨) مِنْ حديثِ عائشة رضي الله عنها.

(٩) انظر ذِكْرَ النار والناقوس في: «صحيح البخاري» (٦٠٣) و«صحيح مسلم» (٣٧٨) مِنْ حديثِ أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه، وذِكْرَ الناقوس والبوق في «صحيح البخاري» (٦٠٤) و«صحيح مسلم» (٣٧٧) مِنْ حديثِ ابنِ عمر رضي الله عنهما.(١)

١- موقع الشيخ https://ferkous.com/home/?q=fatwa-32

الخـــــــلاصة

الحمد لله وبعد : بعد بحثي لهذا الموضوع الشيق مما ابتليت به الأمة وانتشر بينهم بين مفرط في سماعه ومعتدل ، وبين محرم ومبيح ومتوسط فيه ، ألا وهي الأناشيد الإسلامية فخلصت لما يلي :

١- الأناشيد الخالية من المعازف المحرمة ، والكلام السيئ والغزل والتغزل والهجاء والمدح الزائد عن حده ، والتغنج من المنشد ، وخلوها كذلك من الألحان السيئة المجوجة والمرفوضة ، وخلوها من الاختلاط فإنها حلال بإذن الله ، خصوصاً بعد دعمها بفتاوى كبار علماء المملكة العربية السعودية .

٢- أن لا يطغى سماع الأناشيد على سماع القرآن الكريم ، بل يكون سماعه لها معقول ومقبول ، والنفوس تحتاج للترويح فكما جاء في الأثر ساعة وساعة .

٣- عدم لجوء المنشدين إلى المؤثرات الموهمة بأنها معازف وآلات موسيقية لكي لا يتهم بدينه وتساهله ، بل يحذر من الانزلاق إلى الألحان والمؤثرات شبه الموسيقية .

كتبه

محمد بن فنخور العبدلي

روجع في محرم ١٤٤٤هـ

ملاحق مهمة

ملاحق مهمة

ملاحق مهمة

ملاحق مهمة

الملحق الأول : بحث بعنوان الترجيحُ في حُكمِ النَّشيدِ للشيخ الدكتور صالح بن أحمد الغزالي

من المعلومِ أنّ النشيدَ بصُورتِه الحاضِرةِ من المسائِلِ المستجَدَّةِ التي لم يُسبَقْ بحثُها في كُتُبِ أهلِ العِلمِ المتقدِّمين ، وهذا داعٍ إلى العنايةِ بذِكرِ حُكمِه مُفصَّلًا ، ويضافُ إليه الدَّواعي التَاليةِ :

١- كثرة متعلَّقاتِ النشيدِ (الألحان ، الكَلِمات ، المقاصد ، وغيرُ ذلك من وقتِ السَّماعِ وكيفيَّتِه...إلخ) وتنَوُّعُها.

٢- قوَّةُ الخلافِ في حُكمِه، وقد مرَّت صورةٌ واضِحةٌ من خلال عَرضِ الأقوالِ، والأدِلَّةِ السَّابقةِ.

٣- عُمومُ الحاجةِ إلى معرفةِ حُكمِ النشيدِ؛ لكثرتِه وانتشارِه الواسِعِ، خُصوصًا بعد انتشارِ أجهزةِ التسجيلِ وأشرطةِ الكاسيت؛ لهذه الأسبابِ وغيرِها كان من المناسِبِ بسطُ الحديثِ عن النشيدِ ومتعلَّقاتِه ، وبيانُ حُكمِه التفصيلي.

وإليك بيانَ ذلك مستعينًا باللهِ، فإن أصَبْتُ فمِنَ الله، وإن أخطأتُ فمن نفسي والشَّيطان، وما توفيقي إلا باللهِ.

الحكمُ التفَصيليُّ للنَّشيدِ:

قبل مَعرفةِ الحكمِ التفصيليِّ للنَّشيدِ، لا بُدَّ من التنبيهِ إلى أمرين:

الأوَّلُ: أنَّ ما يُعرَفُ -الآن- بالنشيدِ الإسلاميِّ أنواعٌ مختَلِفةٌ ومُتباينةٌ من حيث الألحانُ والكلِماتُ والمقاصِدُ، فيجِبُ التفصيلُ عند بيانِ الحكمِ بين أنواعِه المختَلِفةِ، لا الإجمالُ والتعميم ، قال ابنُ القيِّم (١) رحمه الله:

فعليك بالتفصيل والتمييز فالـ ... إطلاقُ والإجمالُ دونَ بيانِ
قد أفسدا هذا الوُجودَ وخبَطا الـ ... أذهانَ والآراءَ كلَّ زمانِ

وقال الشيخُ محمَّدُ العُثَيمين (٢) -رحمه الله- بخصوصِ التفصيل عند بيانِ حُكمِ النشيدِ: "واعلمْ أنَّه في هذا البابِ لا تكادُ تجِدُ أحدًا يفرِّقُ بين ما كان مشروعًا (❖) وغيرِ مشروعٍ؛ ولهذا أرى أنَّ الأناشيدَ لا بُدَّ أن تُعرَضَ -قبل أن تُسمع- على طالبِ عِلمٍ يميِّزُ بين الصَّحيحِ وغيرِ الصَّحيحِ، ثمَّ بعد ذلك تأخذُ الحكمَ".

الثاني: وأن كثيرًا مما قاله أصحابُ الرأيين (المانع، والمبيح) في حَقِّ النشيد حَقٌّ وصوابٌ، ولكِنْ في بعض أنواعِه لا في جميعِها، فمَثلا:

من قال: إنَّ الأناشيدَ ليست من جِنسِ الغِناءِ الملحَّنِ المطربِ، صَحَّ هذا في بعضِ الأناشيدِ دونَ بَعْضِها، التي تشبِهُ ألحانَ الأغاني، أو هي مَن جِنسِها.

فإنْ لا يكتها أو تكته فإنَّه أخوها غذَته أمُّه بلبانِها

ومن قال: إنَّ سَماعَ الأناشيدِ يُلهِي عن ذِكرِ اللهِ وتِلاوةِ القُرآنِ، صَحَّ هذا في حَقِّ كثيرٍ من المستمعين، دونَ مَن تقيَّد بسماعِه في المناسَباتِ دونَ غيرِها من الأوقاتِ.
ومن قَال: إنَّ الأناشيدَ طريقٌ لدُخولِ الأفكارِ القوميَّةِ والبِدَعِ الصُّوفيَّةِ، صَحَّ هذا في بعضِ الأناشيدِ دون بَعْضِها، والذي يخلو من ذلك، وتلتزمُ كلماتُه بالمعاني الشرعيَّةِ الصحيحةِ ، ومن قال: إنَّ سماعَ الأناشيدِ ليس من جِنسِ السَّماعِ الصُّوفيِّ المحدَثِ، صَحَّ هذا في حقِّ البَعضِ، ولم يصِحَّ في حَقِّ مَن التَهى عن سماعِ القرآنِ ومواعِظِه بسَماعِ النشيدِ ومواعِظِه.

الحُكمُ التفصيليُّ للنشيدِ:

اعلَمْ -رعاك الله- أنَّ النشيدَ تتنازعُه ثلاثةُ أُصول:
الحداءُ والنَّصْبُ أصلٌ، والغِناءُ المعروفُ عند أهلِ الغِناءِ أصلٌ، والسَّماعُ الصوفيُّ المحْدَثُ أصلٌ. فما وافقت صفاتُه من الأناشيدِ أحدَ هذه الأُصول، سواءٌ في الألحان، أو الكلِماتِ، أو المقاصِدِ، ألحِقَ به في الحكم، كما هي القاعدة القياسيَّة الأصوليَّة في الفرع الذي يتنازعُه أكثرُ من أصل، فيُلحَقُ بأكثرِهم شَبَهًا.
قال الناظم (٣) -رحمه الله- عند بيان النَّوعِ الثالِثِ من أنواعِ القياسِ:

والثَّالِثُ الفرعُ الذي تردَّدا فليلتحِقْ بأيِّ ذَيْن أكثَرا
ما بين أصلين اعتبارًا وُجِدَا من غيرِه في وَصْفِه الذي يُرَى

يعني أنَّ النَّوعَ الثَّالِثَ من أنواعِ القياسِ: قياس الشَّبَهِ، وهو أن يكونَ الفرعُ مترددًا بين أصلين أو أكثرَ، فيلتحِقُ في الحكمِ بأكثرِهم شَبَهًا في الصِّفة (٤).
بناءً على ذلك يكونُ للنَّشيدِ ثلاثةُ أحكام:
الحكمُ الأوَّلُ للنَّشيدِ: إباحةُ سَماعِ النَّشيدِ واستماعِه إلحاقًا له بالنَّصْبِ والحُداءِ، الذي جاءت الرُّخصة بإباحتِه مُقيَّدًا، فيما إذا كان النشيدُ مُوافِقا لهما في الألحانِ والمقاصِدِ والكلِماتِ، ويتحقَّقُ ذلك بالشُّروطِ التالية:
الشرط الأولُ: في الألحان. أن تقعَ على أصلِ الخِلْقةِ دونَ تكلُّفٍ وتصنُّعٍ، بأن تقعَ بتطريبٍ وترجيعٍ يسيرينِ دونِ الألحانِ المتكلَّفةِ الموزونةِ على النَّغمِ الموسيقيِّ المطربِ، بَلَهَ (دع) الألحانَ المائعةَ الماجنة. قال ابنُ قدامة (٥) -رحمه الله-: "وأما الحداءُ فمباحٌ لا بأسَ به في فِعْلِه واستماعِه، وكذلك نشيدُ الأعرابِ، وسائرُ أنواعِ الإنشادِ، ما لم يخرُجْ إلى حدِّ الغِناءِ".
الشرط الثاني: أن لا يُقصدَ من سماعِه التعبُّدُ، كشأنِ أهلِ السَّماعِ الصُّوفيِّ البِدْعيِّ(❖)، أو اللذَّةُ والطَّرَبُ كشأنِ أهلِ الغِناءِ الفِسْقيِّ، بل شيءٌ من الترويحِ والنَّشاطِ. قال الشاطبي (٦) -رحمه الله-: "ولم يكن فيه -أي النشيدِ المباحِ- إلذاذٌ ولا إطرابٌ يُلهي، وإنما كان شيءٌ من النَّشاطِ".
الشرط الثالثُ: أن لا تشتَمِلَ كلِماتُه على معنًى محظورٍ في الشرعِ، كأن يكونَ النشيدُ وسيلةً لدُخولِ بِدَعِ الصُّوفيَّة، أو وسيلةً لترويجِ الشِّعاراتِ القوميَّةِ والوطنيَّةِ والحِزْبيَّةِ عن طريقِه أيضًا (٧).

الشرطُ الرابعُ: أن لا يشتَمِلَ على دُفٍّ، بَلْهَ (دعِ) بقيَّةَ المعازفِ. قال الشيخ محمد العثميين (٨) -رحمه الله-: "الأناشيدُ الإسلاميَّة لا تخلو من حالين؛ أولًا: أن يكونَ فيها ضَربٌ بالدُّفِّ، وفي هذه الحالةِ تكونُ حرامًا؛ لأنَّها مشتَمِلةٌ على اللهوِ الذي لا يُباحُ في مِثلِ هذه الحالة".

الشرطُ الخامِسُ: "أن لا تُتَّخَذَ ديدنًا، وتُتخَذَ مَوعِظةٍ للقَلبِ يتلَهَّى بها الإنسانُ عن مواعِظِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، فإنَّها تكونُ حينئذٍ إمَّا محرَّمة وإمَّا مكروهة؛ لأنَّها تصُدُّ عن كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم (٩).

الشرطُ السادسُ: أن لا يَحدُثَ بسَبَبِها مَفسَدة في الدِّين، كالتلَهِّي عن سماعِ القُرآنِ والعِلمِ الشَّرعيِّ به، أو في أمورِ الدُّنيا، كتضييعِ بَعضِ الواجِباتِ والمصالحِ المهِمَّةِ بسبَبِ الاشتغالِ به.

وضابِط هذه الشروطِ هو: "الحدُّ الذي كان يُفعَلُ بين يدَيِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وأصحابِه، ومن يُقتدى بهم من أهلِ العِلم (١٠)، ويخرُجُ بهذا القيدِ من لا يجوزُ الاقتداءُ بهم، وهم في هذا البابِ صِنفان: أصحابُ السَّماعِ الفِسقيِّ من أهلِ الغِناءِ، وأصحابُ السَّماعِ الدِّيني المحدَث من أهلِ الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ البِدْعيَّة.

الحكمُ الثَّاني للنَشيد: أن يلحَقَ بغِناءِ أهلِ الفِسقِ في الذَّمِّ والكراهة، وذلك إذا وافق النشيدُ غِناءَ أهلِ الفِسقِ في ألحانِه أو كلِماتِه أو مقاصِدِه، ويكونُ ذلك في الحالاتِ التالية:

١- في حالِ التكلُّفِ والتصنُّعِ في أداءِ ألحانِ النشيدِ؛ فإنَّه -أي التكلُّفَ- في إنشادِ الشِّعرِ من خصائِصِ المغَنِّيين، ولم يكن الماضون الأوَّلون -الذي يكون فهمُهم حُجَّة على من بعدهم- لم يكونوا يتصنَّعون أو يتكلفون في إنشادِ الشِّعرِ، إلا من وجهِ إرسالِ الشِّعرِ، واتصالِ القوافي، فإنِ كان صوتُ أحَدِهم أشجَنَ مِن صاحِبِه، كان ذلك مردودًا إلى أصلِ الخِلقة، لا يتكلفون ولا يتصنَّعون" (١١).

٢- كونُ النشيدِ محكومًا بالتلحين الغنائيِّ الموزون على النَّغمِ الموسيقيِّ المطربِ، وعِلَّة الحظرِ في هذه الحالةِ والتي قبلها: التشبُّهُ بالفسَّاقِ والمجانِ، مع ما فيه من الإطرابِ المذمومِ الملهي.

٣- في حالِ مُشابهةِ النشيدِ لألحانِ أغنيةٍ مُحرَّمةٍ معلومةٍ، وفي هذه الحالةِ من التشبُّهِ بالفسَّاقِ والماجنين ما يجعلَه -أي النشيدَ- محظورًا حتى عند بعض الغافلين عن الحالتين السابقتين وما فيهما من تشبُّهٍ. قال الشيخُ عبد الله علوان(١٢) -رحمه الله-: "لا يجوز للمُنشِدين أن يُنشِدوا أغانيَ فيها تشبُّهٌ بالأغاني المائعة من ناحيةِ أوزانِها وألحانِها؛ لأنَّ السامعَ حين يسمعُها يظنُّ أنَّ المنشِدَ يُغَنِّي الأغنية المائعة، والمقطوعة الفاجرة؛ لكون أكثَرِ النَّاسِ يلتفتون إلى النَّغمِ واللحنِ أكثَرَ من التفاتِهم إلى المعنى والنَّظمِ، وهذا مشاهَدٌ ومعروف في عالمِ الواقعِ الذي نحيط به، وننظرُ إليه ونعايشُه، والرسولُ عليه الصلاة والسلامُ حذَّر كلَّ التحذيرِ من التشبُّهِ بالمائعين والمخَنَّثين".

٤- أن يُشبِهَ النشيدُ ألحانَ وكَلِماتِ أغنيةٍ مِحرَّمةٍ معلومةٍ، ولو مع تغيير بَعض الكلِماتِ التغييرَ الذي يغيِّرُ معنى الأغنيَّةِ المحرَّمِ، مع بقاءِ الشَّبَهِ والتذكيرِ بالأغنيةِ، كتلحين نَشيدِ:

عودوا يا نَاس (للإسلام) ويَّامُه خلُّوا اللُّوَّام يلوموا مهما لاموا

على لحن الأغنيةِ الماجنةِ:

عودوا يا ناس (للحُبِّ) ويَّامُه خلُّوا اللُّوَّام يلوموا مهما لاموا

وعِلةُ النَّهي في هذا العمَلِ ونظائِرِه هو: التذكيرُ بالمحرَّماتِ، (نهى النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلم عن الانتباذِ في المزَفَّتِ والحنتَمِ والنَّقيرِ) (١٣) وهي الأواني التي كانت مخصوصةً للخَمرِ، فنهى عنها؛ لأنَّها تُذكِّرُ بها، وهي عِلةُ التحريمِ؛ إذ لا لذَّةَ في رؤيةِ القنينةِ وأوانِي الشُّربِ، لكِنْ من حيث التذكيرُ بها، والذِّكرُ سببُ انبعاثِ الشَّوقِ، وانبعاثُ الشَّوقِ إذا قويَ فهو سَبَبُ الإقدامِ (١٤).

٥- أن يَحصُلَ تشَبُّهُ أهلِ النشيدِ حينَ أداءِ النشيدِ بأهلِ الغِناءِ والعَزْفِ، حين أداءِ الغناءِ في الهيئةِ الظاهِرةِ؛ كالوَقفةِ والحركةِ واللبسِ، وطَريقةِ الأداءِ والإلقاءِ.

مثاله: أن يَقِفَ المنشِدُ وفِرقةُ النشيد فوق خَشَبةِ المسرحِ أمامَ الجمهورِ، وَقفةَ الفِرَقِ الغِنائيةِ، حَسَبَ نظامِ وُقوفِهم الخاصِّ، مثلُ: انفراجِ الرِّجلينِ والقدَمينِ بمقدارٍ مُعيَّنٍ، ووَضْعِ الشِّعارِ (كالمَنديلِ في الجيبِ، أو المنشفةِ على الكتِفين أو غيرهما)، وتَحريكِ اليدينِ ارتفاعًا وانخفاضًا مع اللحنِ، أو تحريكِهما مع المعاني المؤثِّرةِ، وتغميضِ العينينِ، ورفعِ الرَّأسِ وهزِّهِ يَمنةً ويَسرةً، وترتيبِ فِرقةِ النشيد بالزِّيِّ الموحَّدِ، كترتيبِ أعضاءِ الفِرَقِ الغنائيةِ بحيث أنَّ من يراهم يظنُّهم إحدى الفِرَقِ الغنائيَّةِ الماجنةِ ، ففي هذه الهيئةِ (❖) من التشبُّهِ بأهلِ الفسادِ ما يجعَلُ عَمَلَهم هذا محظورًا في الشرعِ، ولو كان ما يُنشَدُ مُباحًا، قال أبو حامد الغزالي (١٥) -رحمه الله-: "لو اجتمع جماعةٌ وزيَّنوا مجلِسًا وأحضروا آلاتِ الشُّربِ وأقداحَه، وصَبُّوا فيها السكنجبين (❖❖)، ونصبوا ساقيًا يدور عليهم ويسقيهم، فيأخذونَ من الساقي ويَشْرَبون، ويحيِّي بعضُهم بعضًا بكلماتِهم المعتادةِ بينهم- حَرُمَ ذلك عليهم، وإن كان المشروبُ مباحًا في نَفسِه؛ لأنَّ في هذا تشبُّهًا بأهلِ الفسادِ".

٦- إن قصدَ من النشيدِ -إلقاءً أو سماعًا- الإطرابُ؛ فإنَّه من مقاصِدِ الغناءِ المحظورِ، وليس من مقاصِدِ النشيدِ المباحِ (١٦).

والإطرابُ واللذَّةُ تَقعان في الأناشيدِ الزُهديَّةِ الحماسيَّةِ، التي لا تقتضي معانيها اللذَّةَ والطَّرَبَ، وذلك -أي: الطَّرَبُ -يكونُ من جهةِ ألحانِ النشيدِ المُطرِبةِ، مثلُ أن تُنشَدَ القصيدةُ الزُّهديَّةُ:

"يا ساكِنَ القبرِ عن قليلي ماذا تزوَّدْتَ للرَّحيلِ؟"

أو: "يا نَفسُ توبي؛ فإن الموتَ قد حانا واعصي الهوى؛ فالهوى ما زال فتَّانا"

بألحانٍ لذيذةٍ مُطرِبةٍ لا سيَّما مع طلبِها وحُبِّها، وتكرارِ سماعِها من غيرِ اتِّعاظٍ.

قالَ ابن القيم (١٧) -رحمه اللهِ-: "سماعُ الأشعارِ التي تتضمَّنُ إثارةً في القَلبِ؛ من الحبِّ والخوفِ، والرجاءِ والطَّلبِ، والأُنسِ والشَّوقِ والقُربِ، وتوابعِها، صادَفَ من قلوبٍ سامعيها حُبًّا وطلبًا، فأثاره إثارةً ممتزجةً بحظِّ النَّفسِ، وهوَ نَصيبُها من اللِّذَّةِ والطَّربِ الذي يحدِثُهُ السَّماعُ، فيظنُّ تلكَ اللذَّةَ والطَّربَ زيادةً في صلاحِ القلبِ وإيمانِه وحالِه الذي يُقرِّبُه إلى اللهِ، وهو محضُ حظِّ النَّفسِ".

٧- في حالِ تضمُّنِ النشيدِ (آهات) المغنِّيين الذين يتفنَّنون في أدائِها وإتقانِها على أوجهٍ كثيرةٍ؛ مِن التطويلِ والتقصيرِ، والتفخيمِ والترقيقِ، وغيرِ ذلك مما يتقِنُه أهلُ اللحنِ.

٨- في حالةِ تضمُّنِ النشيدِ كلِماتِ أهلِ الغِناءِ الخاصَّةِ بهم، كـ"يا ليل، يا عين"؛ فإنَّ هذا يوجِبُ التذكيرَ بأغانيهم المحرَّمةِ، والتشبُّهَ بهم، وكلاهما محظوران في الشَّرعِ.

٩- المدُّ الفاحِشُ في كلِماتِ النشيدِ على نحوِ مَدِّ أهلِ الغِناءِ، وتقييدُه بالفاحِشِ هنا؛ ليَخرُجَ المدُّ غيرُ الفاحشِ في كلِماتِ الشِّعرِ وإنشادِه؛ فإنَّه يُباحُ، ودليلُ إباحته ما رواه البراءُ بنُ مالكٍ في قِصَّةِ حفرِ الخندقِ: (... فسَمِعتُه يرتجِزُ بكلِماتِ ابنِ رواحةَ وهو ينقلُ التُّرابَ، ويقولُ صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهُمَّ لولا أنتَ ما اهتَدَينَا، وإن أرادوا فتنةً أبَينا، قال: ثمَّ يُمِدُّ صوتَه بآخِرِها) (١٨).

١٠- الاشتغالُ بالنشيدِ وسماعِه في كلِّ وقتٍ وحينٍ، كنحوِ اشتغالِ أهلِ الغناءِ بغِنائِهم.

١١- نشيدُ من يُتقِنُ صِنعةَ الغِناءِ ويَحذِقُها، فإنَّه يُسمَّى غِناءً، وصاحِبُه يُسمَّى مُغَنِّيًا، وليس إنشادُه مِن القدْرِ المرَخَّصِ به في الشَّرعِ، روى الشيخان عن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: (دخل عليَّ أبو بكرٍ وعِندي جاريتان من جواري الأنصارِ تُغَنِّيان بما تقاوَلت الأنصارُ يومَ بُعاث، قالت: وليستا بمغنِّيتَينِ، فقال أبو بكر: أمزامِيرُ الشيطانِ في بيتِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟! وذلك في يومِ عيدٍ، فقال رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكرٍ، إنَّ لكلِّ قومٍ عيدًا، وهذا عيدُنا). والشاهِدُ من الحديثِ قولُ عائشةَ -رضي الله عنها-: (وليستا بمغنِّيتين)، قال النووي (١٩) رحمه الله: "وقولها (ليستا بمغنِّيتين) معناه: ليس الغناءُ عادة لهما، ولا هما معروفتان به".

١٢- إذا اقتَرَن بالنَشيدِ حَرَكاتُ أهلِ الغِناءِ المعبِّرة عن اللهو والمجون، كالتمايُل، وهَزِّ الرُّؤوس؛ فإنَّه يكون حينئذ محظورا. أخرج البيهقيُّ بسندٍ صحيحٍ، عن أمِّ عَلقمةَ مولاةِ عائشةَ -رضي الله عنها- (أنَّ بناتِ أخي عائشةَ -رضي اللهُ عنها -خُفِضْنَ، فألمْنَ ذلكِ، فقيل لعائشةَ: يا أمَّ المؤمنين، ألا ندعو لهنَّ من يُلهيهن؟ قالت: بلى، قالت -أمُّ علقمةَ-: فأرسلَ إلى فلانِ المغنِي، فأتاهم، فمرَّت به عائشةَ -رضي الله عنها- في البيتِ، فرأته يُغنِّي ويحرِّك رأسَه طربًا -وكان ذا شَعرٍ كثيرٍ- فقالت عائشةَ -رضي الله عنها-: أف! شيطانُ، أخرجوه، أخرجوه. فأخرَجُوه) (٢٠).

١٣- أن يقتَرنَ بالنشيدِ بعضُ الأصواتِ المطربةِ التي هي دونَ الآلاتِ؛ كالتصفيقِ، والصَّفيرِ، والضَّربِ بالأرجُلِ والقضيبِ والصنجِ؛ فإنَّه يكونُ حينئذ مكروهًا (٢١).

١٤- أن يكونَ فيها -أي: الأناشيدِ -ضَربٌ بالدُّفِّ، وفي هذه الحالةِ تكونُ عند البعضِ حرامًا؛ لأنَّها مُشتَمِلةٌ على اللهوِ الذي لا يُباحُ في مِثلِ هذه الحالةِ (٢٢).
١٥- أن يقتَرِنَ بالنشيدِ آلاتُ العَزْفِ المحرَّمةِ، فيَحرُمُ، ولا يجوزُ فِعْله على أيِّ وَجهٍ وحال.
١٦- النَّشيدُ الذي يُؤدَّى بأصواتٍ مائعةٍ وألحانٍ ماجنةٍ: يحرُمُ إنشادُه وسماعُه مُطلقًا، فإن كانت أصواتُ النشيدِ غيرَ مائعةٍ، وألحانُه غيرَ فاتنةٍ، وحصَلت الفتنةُ بها عند بعض المستمعين- فتَحرُمُ في حَقهم؛ إذ إنَّ عِلةَ التحريمِ هنا هي الافتتانُ، وقد يكونُ في الصَّوتِ واللحنِ، فتحرُمُ مُطلقا، وقد يكونُ في المستَمِعِ فتَحرُمُ في حَقه، والمرءُ طبيبُ نَفسِه. والله أعلمُ.
الحكمُ الثالثُ للأناشيدِ: أن يلحَقَ بالسَّماعِ الصوفيِّ المحْدَثِ إذا وافقه في بعضِ خصائصِه، وعِلَلِه التي يُحكمُ ببِدْعيَّتِه لأجْلِها (❖).
ويكونُ ذلك في الحالاتِ التاليةِ:
١- الاعتقادُ بأنَّ الأناشيدَ المُطربةَ مِن الدِّينِ، وهو نظيرُ اعتقادِ الصوفيَّةِ أنَّ سَماعَهم من الدِّين.
٢- الاعتقادُ بأنَّ الأناشيدَ المُطربةَ تزيدُ في جَذوةِ الإيمانِ، وهو نظيرُ اعتقادِ الصوفيَّةِ أنَّ السَّماعَ يزيدُ في الأحوالِ والمَواجيدِ الإيمانيَّةِ.
٣- اعتقادُ البَعضِ أنَّ الأناشيدَ المطربةَ طريقٌ يُقرِّبُهم إلى اللهِ ويوصِلُهم إليه، ولا يجوزُ لأحدٍ أن يعتَقِدَ أو يقولَ عن عَمَلٍ: إنَّه قربةٌ وطاعةٌ وبرٌّ، وطريقٌ إلى اللهِ واجبٌ، أو مستحَبٌّ، إلا أن يكونَ مما أمَرَ الله به أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم(٢٣).
٤- عدُّ الأناشيدِ المُطربةِ مِن الوسائلِ الرَّئيسةِ التي يُطلَبُ بها رِقَّةُ النُّفوس، وخشوعُ القلوبِ (٢٤)، ولم يكنْ ذلك من فِعلِ السَّلَفِ المتقدِّمين المقتدى بهم، قال الشاطبي (٢٥) -رحِمه الله-: "ولا كان المتقدمون أيضًا يعُدُّون الغِناءَ جزءًا من أجزاءِ طريقةِ التعبُّد، وطلب رِقةِ النُّفوسِ وخُشوعِ القلوبِ" (٢٦).
٦- الاجتماعُ على الأناشيدِ المطربةِ وقصدُها من أجلِ إصلاحِ القُلوبِ ورِقَّتِها، وتذكرِها بالآخرةِ، وذلك من البِدَعِ المحدَثةِ بعد مُضيِّ القرون الفاضلة، المشهودِ لها بالخيريَّةِ، وقال ابن تيميَّة -رحمه الله-: "وأمَّا سماعُ القصائدِ لصلاحِ القلوبِ والاجتماعُ على ذلك، إمَّا نشيدًا مجرَّدًا، أو مقرونًا بالتغبير ونحوه، فهذا السَّماعُ مُحدَثٌ في الإسلام بعد ذَهابِ القرونِ الثلاثة، وقد كرِهَه أعيانُ الأئمَّة، ولم يحضُرْه أكابرُ المشايخ" (٢٧)، ولم يكنْ للسَّلَفِ سماعٌ يجتمعون عليه غيرُ سماعِ القرآن الكريم.
٧- اتخاذُ الأناشيدِ المطربةِ (❖❖) من وسائلِ الدَّعوةِ الرَّئيسةِ، التي يُتوَّبُ بها العصاةُ، فيُهجَرُ لأجْلِ ذلك الدَّعوةُ للكتابِ والسُّنَّةِ، "ومِن المعلومِ أنَّ ما يَهْدي اللهُ به الضَّالين، ويرشِدُ به الغَاوين، ويُتوِّب به العاصين، لا بدَّ أن يكونَ فيما بَعَث الله به رسوله من

الكِتابِ والسُّنَّةِ، وإلَّا فإنَّه لو كان ما بعث اللهُ به الرَّسولَ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم لا يكفي في ذلك، لكان دينُ الرَّسول ناقصًا يحتاجُ إلى تتمَّةٍ" (٢٨).

٨- هجرُ سماعِ القرآن وتلاوتِهَ بسَبَبِ الاشتغال بسَماعِ الأناشيدِ الملحَّنةِ وتلاوتِه، وذلك من البِدَعِ المحدَثةِ التي اشتَدَّ نكيرُ الأئمَّةِ علَى أصحابِها. قال أبو موسى -رحمه الله-: "سمعتُ الشَّافعيَّ -رحمه الله- يقولُ: بالعراقِ زَنادِقةٌ أحدثوا القصائدَ؛ ليشغَلوا النَّاسَ عن القرآنِ" (٢٩).

٩- ثِقلُ سماعِ القرآنِ الكريمِ بسَبَبِ الاعتيادِ على سماعِ الأناشيدِ، وهو -أي ثِقَلُ سماعِ القرآن- أمرٌ طبعيٌّ في حقِّ مَن اعتاد سماعَ الأناشيدِ، واعتنى بها أكثَرَ من اعتنائِه بسَماعِ القرآنِ الكريمِ (❖).

ويحصُلُ الاستِثقالُ هنا لسَبَبين:

الأوَّلُ: اعتيادُ قلبِه على سماعِ الأناشيدِ الملَحَّنةِ بالأنغامِ المُطربةِ المتنَوِّعةِ، ويحصُلُ لذلك نفورُ سماعِ آياتِ القرآنِ الكريمِ التي لا يكون فيها ذلك الإطرابُ الذي اعتاد عليه القلبُ وتعلَّق به (٣٠).

الثاني: أنَّ في الشِّعرِ والنشيدِ موافقةً لأغراضِ النُّفوسِ -قلَّ أو كَثُر- بخلافِ القرآنِ الكريمِ الذي فيه تقييدٌ للنُّفوسِ بالأوامرِ والنواهي الصارمةِ. قال ابنُ القيِّمِ -رحمه اللهُ- مُشيرًا إلى هذا السَّبَبِ:

ثَقُل الكتابُ عليهمِ لمَّا رأوا تقييدَه بأوامرٍ ونَواهي
وأتى السَّماعُ مُوافِقًا أغراضَها فلأجْلِ ذاك غدا عظيمَ الجاهِ (٣١)

ولهذا يوجَدُ مَن اعتاد سماعَ الأبياتِ المُلحَّنةِ وإغتدى بها، ولا يحِنُّ إلى القرآنِ ولا يفرَحُ به، ولا يجِدُ في سماعِ الآياتِ ذَوقًا وحلاوةً ووَجْدًا، كما يجِدُ في سماعِ الأبياتِ، بل ولا يُصغي أكثَرُ الحاضرين أو كثيرٌ منهم إليه، ولا يقومون معانيه، ولا يغضُّون أصواتَهم عند تلاوتِه (٣٢).

١٠- التأثُّرُ بمواعِظِ النشيدِ دونَ مواعِظِ القرآنِ الكريمِ، وهذا من علاماتِ السَّماعِ المحدَثِ (❖❖). قال ابن الجوزي (٣٣) -رحمه الله-: "وقد نَشِبَ حُبُّ السَّماعِ بقلوبِ خَلقٍ منهم، فآثروه على قراءةِ القرآنِ، ورَقَّتِ قلوبُهم عنده بما لا تَرِقُّ عند سماعِ القرآنِ، وما ذاك إلا لتمكنِ هوى باطِنٍ، وغلبةِ طبعٍ، وهم يظنُّون غير هذا"، ثمَّ ساق من تاريخِ الخطيبِ بإسنادِه إلى أبي نصرٍ السَّرَّاجِ، يقول: "حكى لي بعضُ إخواني عن أبي الحسَين الدرَّاج ، قال: "قصدْتُ يوسُفَ بنَ الحسَين الرازي من بغداد، فلمَّا دخَلْتُ الرَّيَّ سألتُ عن منزلِه، وكلٌّ من أسأله عنه يقولُ: أيش تفعل بهذا الزِّنديق؟!

فضَيَّقوا صدري حتى عزمتُ على الانصرافِ، فبِتُّ تلك الليلةَ في مَسجدٍ، ثم قلتُ: جئتُ هذه البلدة، فلا أقلَّ من زيارتِه، فلم أزَلْ أسأل عنه حتى وقعتُ إلى مسجدِه وهو قاعدٌ في المحرابِ، بين يَدَيه رجلٌ على يَدَيه مُصحَفٌ، وهو يقرأ ، فسلمتُ عليه، فردَّ عليَّ السَّلامَ، وقال: من أين؟ قلت: من بغدادَ، قصَدْتُ زيارةَ الشيخِ. فقال: تحسِنُ أن تقولَ شيئًا؟ قلتُ: نعم. وقلتُ: رأيتك تبني دائمًا في قطيعتي، ولو كنتَ ذا حزمٍ لهدَمْتَ

ما تبني ، فأطبق المصحفَ، ولم يَزَلْ يبكي حتى ابتَلَّتْ لحيتُه وثوبُه، حتى رَحِمتُه من شِدَّةِ بكائه ، ثمَّ قال: يا بُنَيَّ تلومُ أهلَ الرَّيِّ على قولِهم: يوسُفُ بنُ الحسَين زِنديقٌ، ومِن وقتِ الصَّلاةِ هو ذا أقرأ القرآنَ، لم تَقطرْ من عيني قطرة، وقد قامَتَ عليَّ القيامة بهذا البيتِ!" (٣٤) ، وهل يُعذَرُ المرءُ في أحوالِ السَّماعِ الفاسِدةِ، وهي في غيرِ مَقدورِه؟ قال الإمامُ ابنُ القيِّم -رحمه الله-: "قال بعضُ العارفين: إنَّ أحوالَ السَّماعِ بعد مباشرتِه تبقى غيرَ مقدورةٍ للإنسان، بل خارجة عن حدِّ التكليفِ، وهذا غيرُ معذور فيه؛ لمباشَرتِه أسبابَه، فهو كمن زالَ عَقلُه بالسُّكرِ (٣٥).

١١- العِنايةُ بالنَّشيدِ المطربِ، والاشتغالُ به في أكثَرِ الأوقاتِ على وَجهِ أنَّه طاعةٌ وعَمَلٌ صالحٌ. قال الشيخ عِمر الأشقر (٣٦) -حفظهَ الله-: "وجاوز أقوامٌ الطَّريقَ، فأصبح الإنشادُ والغناءُ شُغلَهم الشَّاغِلَ، وأحدثوا له أنغامًا، ورققوا أصواتهم، حتى أصبح فنًّا، لا أقولُ هذا عن الفسَّاق من المغنِّين والمغنِّيات، وإنما مرادي أولئك الذين اتَّخَذوا هذا دينًا يُقرِّبُهم إلى الله تعالَى، وشَغَلوا بذلك أوقاتَهم، وهَجَروا قرآنَ رَبِّهم".

١٢- جَعلُ الأناشيدِ الملحَّنةِ المطربةِ مِن جنسِ أعمالِ القربى التي تفتَقِرُ إلى إخلاصِ النيَّةِ فيها لله وحدَه دون سِواه، كما تفتَقِرُ الطاعاتُ والعباداتُ المحضةِ لذلك، فيقالُ مثلا عند ابتداءِ الأناشيدِ أو ختامِها: "نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعلَ عَمَلنا هذا خالِصًا لوَجْهه"، أو "نعوذُ باللهِ أن نخلِطَ عَمَلنا هذا برياءٍ" أو نحوَ هذه الكلماتِ التي تُنوى عند ابتداءِ الطاعاتِ والعباداتِ المحضةِ ، ولا يصِحُّ أن يقالَ: النشيدُ الملحَّنُ المطربُ مِن جنسِ شِعرِ الدعوةِ الإسلاميِّ، الذي نصَّ الفقهاءُ على استحبابِه، وعَدُّوه من الطاعاتِ والأعمالِ الصالحةِ التي تقرِّبُ إلى اللهِ؛ لِما يتضَمَّنُ من الدفاعِ عن الدين، والذَّود عن حِياضِه، والتزهيدِ في الدُّنيا.. وما كان كذلك فهو مفتَقِرٌ إلى إخلاصِ النيَّةِ وتصحيحِها؛ وذلك لأنَّ النشيدَ بهذه الصِّفةِ ليس شِعرًا فقط، وإنما هو شعرٌ مَضافٌ إليه التلحينُ المطربُ، وإباحةُ شيءٍ أو استحبابُه لوحده ليس دليلًا على إباحتِه مع غيره. قال الإمامُ ابنُ القيم -رحمه الله-: "لأنَّ التركيبَ له خاصيَّةٌ تؤثِّرُ على الحكمِ، ألا ترى أنَّ الماءَ مُباحٌ، فإذا أضيف إليه تمرٌ على هيئةٍ خاصَّةٍ أصبحَ (نبيذًا) محرَّمًا".

"وهذا نظيرُ ما يُحكى عن فِقهِ إياسِ بنِ مُعاوية، أنَّ رجُلًا قال له: ما تقولُ في الماء؟ قال: حلالٌ. قال: فالتَّمرُ؟ قال: حلالٌ. قال: فالنبيذُ ماءٌ وتمرٌ، فكيف تحرِّمُه؟! فقال له إياسٍ: أرأيتَ لو ضربْتُك بكف من ترابٍ، أكنتُ أقتُلك؟ قال: لا. قال: فإن ضربْتُك بكف من تِبن، أكنتُ أقتُلك؟ قال: لا. قال: فإن ضربتُك بماءٍ أكنتُ أقتُلك؟ قال: لا. قال: فإن أخذتُ الماءَ والتِّبنَ والترابَ، فجعلْتُه طينًا، وتركْتُه حتى يجفَّ، وضرَبْتُك به أكنتُ أقتُلك؟ قال: نعم. قال: كذلك النبيذُ" ، "ومعنى كلامِه أنَّ المؤثِّرَ هو القوة الحاصِلة بالتركيبِ، والمفسِدُ للعَقلِ هو القوَّةُ الحاصِلة بالتركيبِ" (٣٧) انتهى. وكذلك ما نحن فيه" (❖).

١٣- الاعتقادُ بأنَّ كمالَ التربيةِ الرُّوحيَّةِ والإيمانيَّةِ والجِهاديَّةِ للشَّبابِ، والترقِّي بهم في ذلك لا يتِمُّ إلَّا عن طريقِ الأناشيدِ المطربةِ، وهذا نظيرُ اعتقادِ الصُّوفيَّةِ أنَّ أحوالهم مع اللهِ وصِلتَهم به لا تَتِمُّ إلَّا عن طريقِ السَّماعِ.
١٤- الاعتقادُ بأنَّه لا بدَّ للشَّبابِ من سماعِ الأناشيدِ أيًّا كانت، ولو كان فيها بعضُ المحاذيرِ، لا سيَّما لمن اعتاد سماعَ الغناءِ، وإلَّا فإنهم سيتركون الالتزامَ بالدِّينِ، ويرتكِبون المحظوراتِ من سَماعِ الأغاني، وغيرِها من المحرَّماتِ، وفي هذا الكلامِ وَجْهٌ مِنَ الشَّبَهِ لقولِ بعضِ الصوفيَّةِ: إنَّ محبَّتَه للهِ عزَّ وجلَّ ورغبتَه في العبادةِ وحركتِه ووَجْدَه وشَوْقه؛ لا يتِمُّ إلَّا بسَماعِ القصائدِ، وسماعِ الأصواتِ والنَّغماتِ، ويزعُمونَ أنَّهم بسماعِ هذه الأصواتِ تتحرَّك عندهم من دواعي الزُّهدِ والعبادةِ ما لا تتحرَّك بدون ذلك، وأنهم -بدون ذلك- قد يترُكون الصَّلواتِ، ويفعلون المحرَّمات، ويظنُّون أنَّهم بهذا ترتاضُ نفوسُهم، وتلتَذُّ بذلك لذَّةَ تصدُّها عن ارتكابِ المحارمِ، وتحمِلها على فعلِ الطاعاتِ، ويقولون: إنَّ الإنسانَ يجِدُ في نفسِه نشاطا وقوَّة في كثيرٍ من الطاعاتِ إذا حَصل له ما يحِبُّه، وإن كان مكروهًا، وأمَّا بدون ذلك فلا يجِدُ شيئًا، ولا يفعَله، وهو أيضًا يمتنِعُ عن المحرَّماتِ إذا عُوِّضَ بما يحِبُّ، وإن كان مكروهًا، وإلَّا لم يقنَعْ (❖)، نقل ذلك عنهم الشيخُ تقي الدين -رحمه الله- ونقدَهم (٣٨).
١٥- الاعتقادُ بأنَّ الأناشيدَ المطربةَ من شعائرِ الالتزامِ بالدِّينِ وعلاماتِ الاستقامةِ، كاعتقادِ بعضِ العامَّةِ أنَّ سَماعَ الأناشيدِ خاصٌّ (بالملتزمين)، وعلامةٌ من علاماتِ الهدايةِ، والتوبةِ، والرُّجوعِ إلى اللهِ، وكذلك يعتَقِدُ الصُّوفيَّةُ في سِماعِهم أنَّه من علاماتِ الاستقامةِ والصَّلاحِ والتوبةِ! (❖❖)، والصَّحيحُ أنَّ تَرْك (الأغاني) من علاماتِ الاستقامةِ، وأمَّا سماعُ أو محبَّةُ الأناشيدِ الملحَّنةِ والمطربةِ، فليست من الطَّاعاتِ، وأمَّا الكلِماتُ الطيبةُ فهي محمودةٌ في القصائدِ وغيْرِها.
١٦- تقديمُ الأناشيدِ والاشتغالُ بها على بعضِ النوافِلِ الشرعيَّةِ، خُصوصًا طلَبَ العلمِ الشَّرعيِّ، وهو نظيرُ تقديمِ الصوفيَّةِ السَّماعَ على بعضِ النوافِلِ؛ كقيامِ الليلِ، وقراءةِ القرآنِ.
١٧- قَصدُ الأماكنِ الفاضلةِ للإنشادِ، كجَعْلِ الأناشيدِ الملَحَّنةِ المُطربةِ في المساجدِ؛ فإنَّه مِن بِدَعِ الصُّوفيةِ المحدَثةِ في سماعِهِم دونَ غيرِهم، قال أبو الطِّيبِ الطبري (٣٩) -رحمه الله-: "ليس في المسلمين من جعَله (تلحينَ الشعر) طاعةً وقرْبى، ولا رأى إعلانَه في المساجدِ، ولا حيثُ كان مِن البقاعِ الكريمةِ والجوامعِ الشَّريفةِ؛ فكان مذهَبُ هذه الطائفةِ (الصوفيَّةِ) مخالِفا لِما أجمع عليه العُلماءُ".
وأمَّا مُجرّدُ الإنشادِ فلا بَأْسَ.
١٨- قصْدُ الأوقاتِ الفاضِلةِ أو ما يظُنُّ أنَّها فاضلةٌ للإنشادِ، كيَومِ مَولِدِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم، وليلةِ الإسراءِ والمعراجِ، وليلةِ النِّصفِ مِن شَعبانَ ورَجَب، وليلةِ القدْرِ.

١٩- الغُلُوُّ في النبيِّ (ﷺ) صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم، وإطراؤُه كما أطْرَت النصارى عيسى بنَ مريمَ عليه السلام، ورَفعُه صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى مقامِ الألوهيَّة، نحوَ الاستغاثة به صلى الله عليه وآله وسلم فيما لا يقدِرُ عليه إلا اللهُ عزَّ وجلَّ، ككشْفِ الكرَبِ، وإزالةِ الظلمِ. ويقول بعضُ المنشِدين:

يا أيها المختارُ هل من وَمْضةٍ تجلي بوَهجِ بريقِها الظلماتِ (٤٠)

فإنَّ حقيقةَ الشِّركِ هو دعاءُ غيرِ اللهِ تعالى بالأشياءِ التي يختَصُّ بها، أو اعتقادُ قُدرةٍ لغيرِه فيما لا يقدِرُ عليه سواه، أو التقرُّبُ إلى غيرِه بشيءٍ مما لا يُتقرَّبُ به إلا إليه (٤١).

٢٠- أن يتضمَّنَ النشيدُ كلِماتِ الدُّعاءِ والنداءِ والتوجُّهِ إلى غيرِ اللهِ، والاستغاثةَ واستجلابَ الخيرِ مِن غيرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وإخلاصُ التوحيدِ لا يتِمُّ إلا بأن يكونَ الدُّعاءُ كله لله، والنِّداءُ والاستغاثةُ والرَّجاءُ، واستجلابُ الخيرِ واستدفاعُ الشرِّ: له ومنه، لا لغيرِه ولا مِن غيرِه (٤٢).

٢١- إذا تضمَّن النَّشيدُ الدَّعوةَ إلى بعضِ البِدَعِ الصُّوفية، كتعظيمِ يومِ مولِدِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وجعْلِه عيدًا، مِثلُ قولِ بعضِ المنشِدين:

مَولِدُ الهادي سلامًا أنت للأجيالِ عِيدُ (٤٣)

٢٢- التغنِّي بالذِّكرِ البِدعيِّ غيرِ المشروعِ؛ كالتغنِّي بلفظِ الجلالة (الله) مُفردًا في مقامِ الذِّكرِ والعبادةِ، فإن اشتمَلت الأناشيدُ على ذلك فإنَّها تكون حرامًا؛ لأنَّ هذا الذِّكرَ مُحدَثٌ، والعبادة مبناها على التوقيفِ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٤) - رحمه الله-: "المشروعُ في ذكرِ اللهِ سبحانه وتعالى هو ذكرُه بجملةٍ تامَّةٍ، وهو الذي ينفعُ القلوبَ، ويحصُلُ به الثوابُ والأجرُ، وأمَّا الاقتصارُ على الاسمِ المفرَدِ مُظهَرًا أو مُضمَرًا، فلا أصلَ له، ولم يَذكرْ ذلك أحدٌ مِن سلَفِ الأمَّة، ولا شرَع ذلك رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم(٤٥) ، وإن كان التغنِّي بالاسمِ المفرَدِ (آلله، آلله) في النشيدِ لمجرَّدِ التلحينِ والتطريبِ، فغيرِ مشروعٍ أيضًا؛ لأنَّه استعمالٌ له في غيرِ محله. قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} (الأعراف: ١٨٠)، ولم يقُلْ تغنَّوا بها.

٢٣- التغنِّي بالذِّكرِ المشروعِ على طريقةٍ بِدْعيَّةٍ، نحوُ طريقِ الإنشادِ الجماعيِّ الملحَّنِ بصوتٍ واحدٍ، مثل أن تُنشَدَ كلِمةُ التوحيدِ بأصواتٍ مُلحَّنةٍ مُنظَّمةٍ جماعيَّةٍ، متوافِقةٍ في مقامِ الذِّكرِ والعبادةِ ، ووجهُ مُخالفةِ هذه الهيئةِ للصِّفةِ المشروعةِ، في أمورٍ؛ منها: الجهرُ بالذِّكرِ، ورفعُ الصَّوتِ به في غيرِ محله، ومنها: تلحينُ الذِّكرِ وتنغيمُه، ومنها: أداؤه جماعةً بصوتٍ واحدٍ، وهذه الأوصافُ الثلاثة مخالِفةٌ للهيئةِ المنقولةِ عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، والعباداتُ مَبناها على التوقيفِ والمتابعةِ للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في: كيفيَّتِها، وسَبَبِها، وجِنسِها، وقدْرِها، وزمانِها، ومكانِها (٤٦) ، ومن جِهةِ المعقول: فإنَّ تلحينَ كلِماتِ الذِّكرِ وتمطيطَها سبيلٌ إلى تحريفِها، وتغييرِ معانيها، وكأن تُنشِدَ كلِمةَ التوحيدِ بلفظ (... موحامد رسول

الله)؛ ولهذا كَرِه الإمامُ أحمدُ -رحمه الله- القراءةَ بالألحان، وقال الإمامُ لِمَن تعَجَّب من ذلك: "ما اسمك؟ ، قال: محمد. قال: أيسُرُّك أن يقالَ لكَ: موحامد؟!" (٤٧)

٢٤- تلحينُ الأدعيةِ بطريقةِ التمطيطِ الفاحِشِ، على نحوِ صَنيعِ مُبتَدِعةِ الصُّوفيَّةِ في الإبتهالاتِ والتواشيحِ الدِّينيَّةِ؛ فإنَّه مُحدَثٌ في الدِّينِ، وكلُّ مُحدَثةٍ في الدِّينِ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضَلالةٌ ، ومِن جِهةِ المعقول: فإنَّ سُؤالَ اللهِ عزَّ وجلَّ ودعاءَه بطريقةِ التمطيطِ والتلحينِ الفاحِشِ ممقوتٌ، وغيرُ مُناسِبٍ لحالِ السُّؤالِ والتذلُّل؛ فلو أنَّ رجُلًا دخل على صاحِبِ سلطانٍ فقال له: "ياآآيها السلطآآنَ هآب لِي..." على طريقةِ التمطيطِ المعهودةِ هنا، أتراه محسِنًا في تقديمِ طلبِه؟ أم تراه مقدرًا لصاحِبِ السُّلطانِ ومُعَظِّمًا له؟!

٢٥- أن يقترنَ بالنشيدِ الأصواتُ المطربةُ التي هي دونَ الآلاتِ، كالتصفيقِ والصفيرِ، والضَّربِ بالقضيبِ والأرجُلِ، على وجه الطاعةِ والقربةِ، وترقيقِ القلوبِ وإصلاحِها، فلهؤلاء نصيبٌ مِمَّن قال الله فيهم: {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً} (الأنفال: ٣٥) والمكاءُ: الصَّفيرُ، والتَّصْديةُ: التصفيقُ، كذا قاله غيرُ واحِدٍ مِنَ السَّلَفِ (٤٨).

٢٦- أن يقترنَ بالنشيدِ ضَربُ الدُّفِّ، على وَجهِ الطَّاعةِ والقُربةِ، وترقيقِ القُلوبِ وإصلاحِها؛ فَفِعلُ ذلك مِنَ البِدَعِ المحدَثةِ المتَّفقِ على تحريمِها، وليس من جنسِ اللهوِ المختَلَفِ في حُكمِه بين الفقهاءِ، "سُئِلَ الفقيهُ الشافعيُّ تقيُّ الدين السُّبكي -رحمه الله- عن الرَّقصِ والدُّفِّ وعن حُضورِ السَّماعاتِ؟ ، فأجاب عنه بقولِه:

واعلمْ بأنَّ الرَّقصَ والدُّفَّ الذي ... ساءلتَ عنه وقلتَ في أصواتِ

فيه خِلافٌ للأئمَّةِ قبلَنا ... شرحِ الهدايةِ سادةِ السَّاداتِ

لكنَّه لم تأتِ قطِّ شريعةٌ ... طلبَته أو جعلته في القُرُباتِ

والقائلون بحله قالوا به ... كسِواه من أحوالِنا العاداتِ

فمن اصطفاه لدينه متعبِّدًا ... بحضوره فاعدُدْه في الحسَراتِ (٤٩)

٢٧- جَعْل الأناشيد الملحَّنةِ المطربةِ من الأمورِ المستحَبَّةِ أو الواجبةِ؛ فإنَّه لا يجوز لأحدٍ أن يعتَقِدَ أو يقولَ عن عَمَلٍ: إنَّه قربةٌ وطاعةٌ وبِرٌّ، وطريقٌ إلى اللهِ واجِبٌ أو مستحَبٌّ، إلا أن يكونَ مما أمرَ الله به، أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والأناشيدُ الملحَّنةُ المطربةُ -أيًّا كانت معانيها- ليس مما أمر الله به، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم (٥٠).

٢٨- الإصغاءُ إلى ألحانِ النشيدِ، والشَّوقُ والحنانُ إليها، والراحةُ النفسيَّةُ، والاطمئنانُ القلبيُّ حين سَماعِها أكثرَ من سماعِ القرآنِ الكريمِ، وسَبَبُ ذلك أنَّ في القلبِ فراغًا وجُوعًا رُوحِيًّا، ومتى استفرغه المرءُ في سماعِ الشِّعرِ مجرَّدًا أو ملحَّنًا - النشيدُ ، أو القصَصُ المقروءُ أو المشاهَدُ، التمثيلُ، أو غير ذلك مما يحصُلُ به تغذيةُ النفوسِ والأرواحِ- لم يَبْقَ بعد ذلك مكانٌ لسماعِ القرآنِ الكريمِ (❖).

٢٩- جَعْلُ النشيدِ بديلًا وعِوَضًا عن الغناءِ، يُترَنَّمُ به في كلِّ وقتٍ وحين، والصَّوابُ أنَّ البديلَ الإسلاميَّ للغناءِ، والذي يحصُلُ به استغناءُ القلبِ وغِذاؤه وعافيتُه: هو القرآنُ الكريمُ. قال ابن الأعرابي (٥١) -رحمه الله-: "إنَّ العَرَبَ كانت تتغنَّى بالركبانِي - وهو النشيدُ بالتمطيطِ والمدِّ- إذا ركِبَت الإبلُ، وإذا تبطحَت على الأرض، وإذا جلَست في الأفنِيَةِ، وعلى أكثَرِ أحوالها، فلمَّا نزل القرآنُ أحَبَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يكونَ القرآنُ هِجِّيراهم مكانَ التغَنِّي، فقال: (ليس مِنَّا من لم يتغَنَّ بالقرآنِ) (٥٢).

٣٠- الخَلطُ والجَمعُ بين قراءةِ القُرآنِ وتلاوتِه، وبين إنشادِ الشِّعرِ وتلحينِه في مكانٍ وزمانٍ واحدٍ، وهذا من إحداثِ جُهَّالِ الصوفيَّةِ المتأخِّرين، ولم يكُنْ مِن فِعْلِ سَلَفِ الأمَّةِ المقتدى بهم، المشهودِ لهم بالخيريَّةِ، بل كان -زيادة في التحرُّزِ -ينهى بعضُ السَّلَفِ عن خَلطِ القرآنِ بالشِّعرِ. قال أبو بكر الخلَّالُ في كتابه (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (٥٣): "عن الرَّجُلِ يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) أمامَ الشِّعرِ، فكأنَّه لم يعجِبْه -أي: الإمام-، وقالَ: حدَّثَنا حفصٌ عن مجالِدٍ، عن الشَّعبيِّ قالَ: كانوا يكتُبون أمامَ الشِّعرِ: (بسم الله الرحمن الرحيم) وقال: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ آيةٌ مِن القرآنِ الكريمِ، فما بالُ القرآنِ يُكتَبُ مع الشِّعرِ؟ وقالَ: هذا حديثُ أنَسٍ: (أنزِلَت عليَّ سُورَةٌ، وقرأَ: بسم الله الرحمَن الرحيم) وهو حُجَّةٌ ألَّا يُكتَبَ أمامَ الشِّعرِ".

٣١- التَغَنِّي بالأصواتِ المطربةِ الملَحَّنةِ في النشيدِ (❖)، جاء في مقدِّمة أناشيدِ الكتائِبِ (٥٤): "إنَّه -أي: صوتَ المنشِدِ أبي مازن -صوتٌ ينبَعِثُ من أعماقِ الجنانِ، فيسمو بالنَّفسِ ويرقى بالرُّوحِ، ويعمَلُ على بَعْثِ معاني الحقِّ، وتجديدِها في النَّفسِ"، وجاء في مقدِّمة نشيدنا (٥٥) في مَدحِ صَوتِ المنشِدِ أبي الجود نظمًا:

ينسابُ صَوتُك في رُوحي فيرشِفُها شَهدًا تسامرَ على خمرِ العناقِيدِ

ولا رَيبَ أنَّ الأصواتَ العَذْبةَ بمُجَرَّدِها، وكذا النَّغماتُ المَوزونةُ، والألحانُ الجميلةُ: ليست مما يُتقرَّبُ به إلى اللهِ، ولا مما تُزكى به النفوسُ وتَطهُرُ، فإنَّ الله شرَع على ألسنةِ المرسلين كلَّ ما تزكو به النفوسُ وتَطهُرُ من أدناسِها وأوزارِها، ولم يَشرَعْ على لسان أحدٍ مِن الرُّسُلِ في مِلةٍ من المِلل شيئًا من ذلك، وإنما يأمرُ بتزكيةِ النفوسِ بالألحانِ مَن لا يتَقيَّدُ بمتابعةِ الرُّسُلِ من أتباعِ الفلاسفةِ، كما يأمرون بعِشقِ الصُّوَرِ، وقدَ أنكر الإمامُ ابنُ القيِّم -رحمه الله- وغيرُه على المتصوِّفةِ المبالغةَ في مدحِ الألحانِ وجعْلِها أمرًا واجبًا أو مُستحبًّا. قال ابن القيم (٥٦) -رحمه الله-: "قال إمامُ الزَّنادقةِ ابنُ الراوندي: اختلف الفقهاءُ في السَّماعِ، فقال بعضُهم: هو مباحٌ، وقال بعضُهم: هو محرَّمٌ، وعندي: أنَّه واجبٌ، ذكره أبو عبدِ الرَّحمن السُّلميُّ عنه في مسألةِ السماعِ، واعتَدَّ به، وكذلك شيخُ الملاحدةِ وإمامُهم ابنُ سِينا، في الإشاراتِ (٥٧) أمرَ بسَماعِ الألحانِ وعِشقِ الصُّوَرِ، وجعل ذلك مما يزكي النفوسَ ويُهَذِّبُها ويصفِيها، وقبْله ومعهم معلِّمُهم الثاني أبو نصر الفارابي، إمامُ أهلِ الألحانِ"

(١) متن القصيدتين النونية والميمية، ابن القيم (ص: ٣٨).
(٢) البيان المفيد، جمع: السليماني (ص: ١٤).
(❖) أي: إباحة الشرع، لا أنه من الدين والشرع.
(٣) لطائف الإرشادات على تسهيل الطرقات لنظم الورقات، نظم: شرف الدين يحيى العمريطي (ص: ٥٣).
(٤) انظر: نفس المكان.
(٥) المغني (١٧٦/٩).
(❖) الشيخ ابن جبرين : "المراد: التعبُّدُ بسماعِه، فأما التعبُّدُ بنَفْعِه وتأثيره في السَّامِع، فهذا ينبغي أن يُتَّخَذ قربةً وعبادة، فإن كثيرًا من الفسَقة والفجَرة وأهلَ الجرائم اهتَدَوا بسماع نشيدٍ إسلامي يحتوي على التخويفِ من النَّارِ والتعريف بحال دارِ البَوارِ ،، وهكذا هناك من بذلوا الأموالَ في سبيل الله، وبذلوا النفوسَ، وصَبَروا على الأذَى، وتحمَّلوا المشاقَّ بعد أن سمعوا هذه المواعِظ في تلك القصائد. والقصص بذلك كثيرة".
(٦) الاعتصام (٤٣٦/١).
(٧) البيان لأخطاء بعض الكتاب، الفوزان (ص ٢٨٧) بتصرف يسير.
(٨) البيان المفيد، جمع: السليماني (ص: ١٤).
(٩) المصدر السابق، فتوى الشيخ محمد العثيمين (ص: ١٥).
(١٠) الاعتصام (٣٤٥/١).
(١١) الاعتصام (٣٤٨/١).
(١٢) أناشيد (الشجرة الطيبة).
(١٣) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ وهي أوانٍ كانت يُشرب فيها الخمر
(١٤) إحياء علوم الدين، الغزالي (٢٧٢/٢) بتصرفٍ.
(❖) بمجموعها لا بوصف واحد منها، كالاصطفاف وحده، أو الزِّيِّ الموحد وحده مثلًا
(١٥) إحياء علوم الدين (٢٧٢/٢).
(❖) فارسي مُعرَّب، أصلها: سركا اتكبين، أي: خل، وعسل، وهو دواءٌ مزيج من الخَلِّ والعَسَل، يُضاف إليهما موادُّ طيبة، ثم أُطلِقَ على كل شراب مركَّب من حلو وحامض. (مُعجمَ الألفاظ الفارسية المعربة للسيد أدي شير ص: ٩٢، الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، لابن العديم ص: ٨٢٥).
(١٦) انظر: الاعتصام، الشاطبي (٣٤٦/١-٣٤٨).
(١٧) الكلام على مسألة السماع (١٣٩ -١٤٠) بتصرف.
(١٨) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق. انظر: الفتح (٣٩٩/٧).
(١٩) شرح النووي على مسلم (١٨٢/٦).
(٢٠) أخرجه البيهقي (٢٢٣/١٠-٢٢٤).
(٢١) انظر: كف الرعاع، ابن حجر الهيتمي (١٠٥-١١٠).
(٢٢) البيان المفيد، جمع: السليماني، فتوى الشيخ العثيمين (ص: ١٤).

(❖) أساس عِلَل الحُكم ببِدْعيَّة السَّماع الصوفيِّ والنشيد في بعض أحواله -كالتي سنذكرها- هو جعلُ تَلحين الشعر بالألحان المطربة دينًا وعبادة وقربة وطاعة وطريقة موصلة إلى الله؛ بالقول أو الاعتقاد، أو القصد أو العمل.

(٢٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/٤٥١).

(٢٤) انظر: نشيد الكتائب (٦-٧).

(٢٥) الاعتصام (١٠/٣٤٨-٣٤٩).

(٢٦) يُطلق الغناء على تلحين الشعر، بدون آلة.

(❖) الشيخ ابن جبرين : "ولا يُنافي ذلك اتخاذه وسيلةً من وسائل الدعوة، فيضمن مع حُسن الصوتِ معانيَ مؤثِّرة في السامع؛ مما ينتج عن سماعها رقة القلب، ودمعُ العين، وتسبُّبُ التوبة من السيِّئات، والإقلاع عن الخطايا، والانكباب على الطاعة، والتوبة الصادقة، فيكونُ لمن أنشدها وسجَّلها مثلُ أجر مَن اهتدى بسببها.

(٢٧) مختصر الفتاوى المصرية (ص ٥٩٢). ابن جبرين : "السَّماعُ الذي يُريده ابن تيمية -رحمه الله- هو ما أحدثه الصوفية من الهزيجِ والطرَبِ والرَّقص وضَربِ الأرض بالأرجُل، وهَزِّ الرُّؤوس عند سماعِ تلك القصائدِ، وهو المسمى عندهم بالسَّماعِ الذي مدَحوه، وقالوا فيه كل مجالٍ:

هو طاعةٌ هو قربةٌ هو سُنَّةٌ شيخٌ قديم صادهم بتميل
وسيق إلينا عذبُها وعذابُها حتى أجابوا دعوة المحتال"

(❖) الشيخ ابن جبرين : "يُراد بالطرب هنا: ما يُحرِّك البَدَن، ويهتَزُّ له الرأسُ، ويدعو إلى تمايل ورقص ونحو ذلك، ولا ينافي أن تتَّخذ القصائدُ الوعظية من وسائل الدعوة، فقد جُرِّب نَفعُها في رجوعِ كثيرٍ من العُصاة، كالخُطبِ والنصائحِ والمواعظِ، وكلُّ الجميعِ مَصدَرُه من الوحيين، فلا يُقالُ: إنَّ فيها زيادةً على ما بَعَث اللهُ به رسولَه ﷺ

(٢٨) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/٦٢٣).

(٢٩) انظر: الكلام على مسألة السماع، ابن القيم (ص: ١٢٤).

(❖) الشيخ ابن جبرين : "لكن غير مُطرِد، فكثيرٌ من الذين يستمعون النشيدَ المفيد ويتأثَّرون بما فيه من المواعِظِ والنصائحِ، ويُكثرون من اقتنائِه والاستفادةِ منه: ليس لمجرد التلذُّذِ بالنَّغماتِ ولا الارتياح للأصوات والنبرات، وإنما للمعاني والمحتويات، والفوائد المتنوِّعة، ومع ذلك لا يهجُرون القرآنَ، بل يقرؤونه، ويستَمِعون له، ويُنصِتون لقراءَتِه، ويتلذَّذون ويتنعَّمون بسماعه وتدبُّره، فيجمعون بين سماع المواعظ في النشيد، وسماع القرآن وغيره. والله أعلم".

(٣٠) انظر: نزهة الأسماع، ابن رجب (ص: ٨٩).

(٣١) إغاثة اللهفان (١٠/٣٤٦).

(٣٢) الكلام على مسألة السماع، ابن القيم (ص: ١٠٧).

(❖) ابن جبرين: "ولعل السَّبَب غرابة هذا المسموع وطرافتِه وجِدَّتِه؛ فإنَّ النفسَ تتأثَّرُ بالمسموع لأول مرَّة، وينتجُ من ذلك التأثُّر رقةٌ وخشوع وبكاء وخوف، ثم يَقِلُّ تأثيرُه إذا أعيد للمرَّةِ الثانية، وكذا الثَّالثة، وإن كان الواجِبُ أن يتأثَّرَ كلما سمع القرآنَ أو تلاه؛

حيثُ إنَّه لا يَخلقُ عن كثرةِ الرَّدِّ، ولكِنْ لكُلِّ جديدٍ أثَرٌ، وهكذا يكونُ في سماع النشيد؛ فإنَّه لا يتأثَّرُ بما قد تكرَّر على سمعه مرارًا، بل يكونُ سماعُه كمعتادٍ غيرِه".

(٣٣) تلبيس إبليس (ص: ٢٣٩).

(٣٤) تاريخ بغداد للخطيب (٣١٨/١٤)

(٣٥) الكلام على مسألة السماع (ص: ٤٠٠).

(٣٦) جولة في رياض العلماء (ص: ٥٩).

(٣٧) الكلام على مسألة السماع، ابن القيم (٢٧٠-٢٧١).

(❖) الشيخ ابن جبرين : "هذا الوَصفُ ينطبِقُ على سماعِ الصوفيَّة الذي يحصُلُ من آثارِه طرَبٌ ونَشوةٌ ورَقصٌ وتمايلٌ يُشبِهُ حالَ أهلِ السُّكرِ؛ ولهذا أنشد ابنُ القيم قول الشاعر :

تُلِيَ الكتابُ فأطرقوا لا خيفةً ... لكِنَّه إطرَاقُ ساهٍ لاهي

وأتى الغِناءُ فكالحمِيرِ تناهقوا ... واللهِ ما رقصوا لأجْلِ اللهِ

إن لم يكنْ خمرُ الجسوم فإنَّه ... خمرُ العقولِ مماثِلٌ ومُضاهي

فانظُر إلى النشوان عند شرابه ... وانظر إلى النِّسوان عند ملاهي

وانظُرْ إلى تمزيقِ ذَا أثوابَه ... من بعد تمزيقِ الفؤادِ اللاهي

واحكمْ فأيُّ الخمرتين أحقُّ ... بالتحريم والتَأثيمِ عند اللهِ"

(❖) الشيخ ابن جبرين : "لا شَكَّ أنَّا إذا رأينا من الشَباب إقبالًا على الأغاني الماجنة، وسماعِ الموسيقى، والتلذُّذِ بآلاتِ الطرَبِ والمزامير والمعازف، ورأيناهم قد شُغِفوا بذلك، وأكبُّوا عليه؛ فإنَّا نبذُلُ السَّبَبَ في صَدِّهم عن ذلك، وتخفيفِه عنهم، ولا شَكَّ أنَّ سماعَ هذا النشيدِ الذي فيه مواعِظ وتخويفٌ وترقيقٌ ووعدٌ ووعيدٌ، هو أخَفُّ وأحسَنُ من سماعِ ذلك اللهوِ والطربِ، فيرتكِبُ أخَفَّ الضَّررين، فبعضُ الشَّرِّ أهوَنُ من بعضٍ".

(٣٨) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠٣/٣).

(❖) الشيخ ابن جبرين : "إلا أنَّ هناك فرقًا بين سماع الصوفية الذي هو رقصٌ وطربٌ وضربٌ بالأرجُلِ وهزٌّ للرؤوسِ ونحوه مما يُثيره ذلك السَّماعُ المبتَدَع، وبين النشيدِ الذي هو قصائِدُ عِلميَّة وعظيَّة مُفيدة، لها وقعٌ في النفوسِ، ينشُرُها الشبابُ الملتزمُ، ويحصل بها توبةٌ، وإقلاعٌ وبُعدٌ عن الحرامِ، وإقبالٌ على العبادةِ، ومحبةٌ لجنس الطاعة".

(٣٩) نزهة الأسماع، ابن رجب (ص: ٨٤).

(❖) الشيخ ابن جبرين : "لا شَكَّ أنَّ هذا شيءٌ واقعٌ، وأنَّه ممنوع وحرامٌ، والغالِبُ أنَّه يكون في قصائِدِ المتصوِّفة والقبوريين، وأهل الجهل والشِّركِ في الأقوال، الذين أوقعهم جهلهم في هذا الغُلوِّ، باسم تعظيمِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ومحبَّتِه وتَوقيرِه والاعترافِ بحقه ... إلخ.

فزادوا في وَصفِه، وأعطوه خالِصَ حَقِّ اللهِ من التعظيم والعبادةِ، وأوصافِ العَظَمة، وما لا يستحِقه إلا الله، وقد فطِنَ لذلك أهلُ التوحيد والإخلاص، فنزَّهوا قصائِدَهم ونشيدَهم عن هذا الغُلوِّ والإطراء؛ حيث رَوَوا قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تُطرُوني كما أطرَتِ النصارى ابنَ مريمَ، إنَّما أنا عبدٌ؛ فقولوا: عبدُ اللهِ ورَسولُه) ، وقوله: (إيَّاكم والغُلُوَّ؛ فإنَّما أهلك مَن كان قبلكم الغُلُوُّ)، وقوله: (أنا محمَّدٌ عبدُ اللهِ ورسوله، ما أحِبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله)، ونحوَ ذلك.

(٤٠) نشيدنا، سليم عبد القادر (ص: ٦١).
(٤١) انظر: الدر النضيد، الشوكاني (١٤٥، ١٦٣).
(٤٢) نفس المصدر (ص: ١٦٣).
(٤٣) نشيد الكتائب (ص: ٩٤).
(٤٤) البيان المفيد، جمع السليماني، فتوى الشيخ محمد العثيمين (ص: ٤).
(٤٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢٦/١١، ٢٣٣) بتصرف.
(٤٦) انظر: دروس وفتاوى من الحرم المكي، الشيخ محمد العثيمين (٣٢-٣٥).
(٤٧) انظر: زاد المعاد (٤٨٩/١).
(٤٨) نزهة الأسماع، ابن رجب (ص ٨٣) بتصرف.
(٤٩) كف الرعاع، ابن رجب الهيتمي (ص: ٨٣).
(٥٠) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٥١/١١).
(❖) الشيخ ابن جبرين : "وذلك خاصٌّ بما إذا كان السَّبَبُ الدافعُ له هو مجرَّدَ التلذُّذِ بالصَّوتِ الملحَّنِ والاشتياقِ إليه، فأمَّا إن كان قصدُه المعاني والمحتويات التي تضَمَّنها ذلك النشيدُ، وما فيها من الزَّجرِ والتخويف والوَعْظِ والوعد والوعيد، أو بيان الأحكام، وتوضيح الأدلة- فإنَّ ذلك محمودٌ، ولا يكون شاغلا عن سماعِ القرآنِ، والذِّكرِ والخيرِ".
(٥١) انظر: المجموع المغيث (٥٨١/٢).
(٥٢) رواه البخاري في صحيحه. انظر: الفتح (٥٠١/١٣).
(٥٣) (ص: ١٦٦).
(❖) الشيخ ابن جبرين : وقد ورد الأمرُ بتحسينِ الصوتِ بالقُرآن في قولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (ما أذِنَ اللهُ لشَيءٍ ما أذِنَ لنبي حَسَنِ الصَّوتِ يتغنَّى بالقرآنِ)، وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: (مَن لم يتغَنَّ بالقرآن فليس مِنَّا)، وقد مدح النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أبا موسى بحسنِ صوتِه، وقال: (لقد أوتِيَ مِزمارًا من مزاميرِ آلِ داودَ).
فمن هذه الأحاديثِ استُحِبَّ للقرَّاءِ أن يُحسِّنوا به أصواتَهم، وقد شوهِدَ تأثيرُ السامعين لمن رُزِق صوتًا حسنًا، وإكبابُهم على استماعِ قراءتِه، وتأثُّرُهم به، ورقَّة القلبِ ودَمعُ العينِ عند سماعه، وهكذا إذا سمعوا قصائدَ وعظيَّة أو زُهديَّة، وكان الناظِمُ لها أو المسَجِّل من ذوي الصَّوتِ الحسَنِ الرَّقيق؛ كان تأثيرُها في القلوبِ أبلغَ، ولا يكونُ ذلك شاغلا عن سماعِ كلامِ اللهِ تعالى، وقراءتِه. والله أعلمُ".
(٥٤) (ص: ٦).
(٥٥) (ص: ٣٥).
(٥٦) الكلام على مسألة السماع (٢٦١-٢٦٢).
(٥٧) انظر: الإرشادات والتنبيهات (٨٢/٤). (١)

١- موقع الدرر السنية
https://dorar.net/article/371/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%8A%D8%AD-%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D9%83%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B4%D9%8A%D8%AF

الملحق الثاني : حُكْمُ الأَنَاشِيدِ

للشيخ ذِيَابُ بنُ سَعْدِ الغَامِدِي

إنَّ النَّاظِرَ هَذِهِ الأيَّامَ إلَى الأنَاشِيدِ الجَارِيَةِ فِي حَيَاةِ الأُمَّةِ الإسْلَامِيَّةِ بِكُلِّ سَبِيلٍ والقَاضِيَةِ عَلَى أكْثَرِ أوْقَاتِ النَّاشِئَةِ لِيَسْتَرْعِيهِ الخَوْفُ والوَجَلُ مِنْ هَذَا التَّمَدُّدِ الإنْشَادِيِّ فِي حَيَاةِ كَثِيرٍ مِنَ الشَّبَابِ والنِّسَاءِ؛ مِمَّا يَدْفَعُ كُلَّ مُسْلِمٍ غَيُورٍ إلَى النَّظَرِ فِي دِرَاسَةٍ وحُكْمِ هَذِهِ الأنَاشِيدِ المُسَمَّاةِ: «الأنَاشِيدَ الإسْلَامِيَّةَ»، لأجْلِ هَذَا فَقَدْ أجْرَيْتُ قَلَمِي فِي شَيْءٍ مِنْ دِرَاسَتِهَا وحُكْمِهَا عَلَى ضَوْءِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ وكَلَامِ أهْلِ العِلْمِ بِشَيءٍ مِنَ الاخْتِصَارِ، واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ!

قُلْتُ: لَقَدْ تَوَاتَرَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَوْلُهُ: «خَلَّفْتُ بِبَغْدَادَ شَيْئًا أحْدَثَتْهُ الزَّنَادِقَةُ، يُسَمُّونَهُ التَّغْبِيرَ، يَصُدُّونَ بِهِ عَنِ القُرْآنِ»، انْظُرْ: «تَلْبِيسَ إبْلِيسَ» (٣٣٠) لابْنِ الجَوْزِيِّ، و«الرَّدَّ عَلَى مَنْ يُحِبُّ السَّمَاعَ» لِلطَّبَرِيِّ، و«الِاسْتِقَامَةَ» (٣٨٥/١) لِابْنِ تَيْمِيَّةَ ، وَقَدْ بَيَّنَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ قَوْلَ الشَّافِعِيِّ فِي التَّغْبِيرِ؛ كَمَا جَاءَ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٥٣٢/١١)، بِقَوْلِهِ: «هَذَا مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَةِ الشَّافِعِيِّ وعِلْمِهِ بِالدِّينِ، فَإنَّ القَلْبَ إذَا تَعَوَّدَ سَمَاعَ القَصَائِدِ والأبْيَاتِ والتَّذَّ بِهَا، حَصَلَ لَهُ نُفُورٌ عَنْ سَمَاعِ القُرْآنِ والآيَاتِ، فَيَسْتَغْنِي بِسَمَاعِ الشَّيْطَانِ عَنْ سَمَاعِ الرَّحْمَنِ» ، وقَالَ أيْضًا (٥٣٤/١١): «والَّذِينَ حَضَرُوا السَّمَاعَ المُحْدَثَ الَّذِي جَعَلَهُ الشَّافِعِيُّ مِنْ إحْدَاثِ الزَّنَادِقَةِ، لَمْ يَكُونُوا يَجْتَمِعُونَ مَعَ مُرْدَانٍ ونِسْوَانٍ، ولا مَعَ مُصْلَصَلَاتٍ وشَبَّابَاتٍ! وكَانَتْ أشْعَارُهُمْ مُزَهِّدَاتٍ مُرَقِّقَاتٍ» انْتَهَى ، وقَالَ أيْضًا الفَقِيهُ أبو مُحَمَّدٍ الدِّشْتِيُّ الحَنَفِيُّ فِي «النَّهْيِ عَنِ الرَّقْصِ والسَّمَاعِ» (٥٥٧/٢): «فَإذَا كَانَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ لِقَوْمٍ يَقُولُونَ القَصَائِدَ فِي الزُّهْدِ: أنَّهُمْ زَنَادِقَةٌ! فَمَا عَسَى يَقُولُ فِي الرَّقْصِ، واسْتِمَاعِ الأغَانِي، والشَّبَّابَاتِ مَعَ الدُّفُوفِ المُزَوَّقَةِ بِالجَلَاجِلِ بِحَضْرَةِ أحْدَاثِ المَرْدِ والنِّسَاءِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المُشْتَهَيَاتِ، بَعْدَ مِلَاءِ بُطُونِهِم مِنْ أَلْوَانِ الطَّعَامِ مِنَ الشُّبْهَةِ والحَرَامِ؟!» انْتَهَى ، وقَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ رَحِمَهُ اللهُ (٢٠٦): «التَّغْبِيرُ بِدْعَةٌ وضَلَالَةٌ، ومَا يُغَبِّرُ إلَّا فَاسِقٌ، ومَتَى كَانَ التَّغْبِيرُ؟!» أخْرَجَهُ الخَلَّالُ فِي «الأمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ» (١٠٧)، وذَكَرَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٥٦٩/١١) ، وَرَوَى إسْمَاعِيلُ بْنُ إسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ: أنَّهُ سُئِلَ (أحْمَدُ) عَنِ اسْتِمَاعِ القَصَائِدِ، فَقَالَ: «أكْرَهُهُ، هُوَ بِدْعَةٌ، ولا يُجَالَسُونَ» ، وقَالَ أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ: «التَّغْبِيرُ بِدْعَةٌ»، فَقِيلَ لَهُ: إنَّهُ يُرَقِّقُ القُلُوبَ، فَقَالَ: «هُوَ بِدْعَةٌ»، وقَالَ مَرَّةً: «أكْرَهُ التَّغْبِيرَ»،

وأنَّهُ نَهَى عَنِ استِمَاعِهِ، وقَالَ: «بِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ» انتَهَى، انظُرْ: «الكَافِي» (٥٢٦/٤) لِابْنِ قُدَامَةَ، و«الفُرُوعَ» (٢٣٧/٥) لِابْنِ مُفْلِحٍ، و«المُبْدِعَ» (٢٢٧/١٠) لِأَبِي إِسْحَاقَ ابْنِ مُفْلِحٍ، و«تَلْبِيسَ إِبْلِيسَ» (٢٢٨) لِابْنِ الجَوْزِيِّ، وقالَ يَعْقُوبُ بنُ العَبَّاسِ الهاشِمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «التَّغْبِيرُ بِدْعَةٌ مُحْدَثٌ» أخْرَجَهُ الخَلَّالُ في «الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ» (١٠٧)، وذَكَرَهُ ابْنُ الجَوْزِيِّ في «تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ» (٢٨١).

فَأَمَّا التَّغْبِيرُ: فَهُوَ شِعْرٌ يُغَنِّي بِهِ المُغَنِّي يُزَهِّدُ بِهِ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِ التَّلْحِينِ والتَّطْرِيبِ المُعْتَدِلِ، وَقَدْ قِيلَ: «إِنَّ التَّغْبِيرَ في لِسَانِ السَّلَفِ: هُوَ الغِنَاءُ»، قالَ الأَزْهَرِيُّ (٣٧٠): «المُغَبِّرَةُ قَوْمٌ يُغَبِّرُونَ بِذِكْرِ اللهِ بِدُعَاءٍ وتَضَرُّعٍ، وقَدْ سَمَّوْا مَا يَطْرَبُونَ فِيهِ مِنَ الشِّعْرِ فِي ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ تَغْبِيرًا»، وقالَ الزَّجَّاجُ (٣١١): «سُمُّوا مُغَبِّرِينَ لِتَزْهِيدِهِمُ النَّاسَ فِي الفَانِي مِنَ الدُّنْيَا، وتَرْغِيبِهِمْ فِي الآخِرَةِ»، انظُرْ «تَلْبِيسَ إِبْلِيسَ» (٢٣٠)، وقالَ أَبُو اللَّيْثِ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (٣٧٥) «والتَّغْبِيرُ اسْمٌ قَدْ أَحْدَثَ لِهَذَا السَّمَاعِ المُحْدَثِ، وكَانَ في الزَّمَانِ الأَوَّلِ، يَقُولُونَ لأَقْوَامٍ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى بِدُعَاءٍ وتَضَرُّعٍ: يُغَبِّرُونَ» انظُرْ «النَّهْيَ عَنِ الرَّقْصِ والسَّمَاعِ» للدِّشْتِيِّ الحَنَفِيِّ (٥٥٥/٢)، وقالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَسْأَلَةِ السَّمَاعِ» (١٢٠): «والتَّغْبِيرُ: ضَرْبٌ بِقَضِيبٍ على جِلْدٍ أو مِخَدَّةٍ، يَخْرُجُ لَهُ صَوْتٌ، ويُتْشِدُونَ مَعَهُ أَشْعَارًا مُرَقَّقَةً مُزَهِّدَةً»، وقالَ أَيْضًا (١٢٣): «وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ التَّغْبِيرَ في لِسَانِ السَّلَفِ: هُوَ الغِنَاءُ» قالَ: الحافِظُ أَبُو مُوسَى المَدِينِيُّ: «إِنَّه الغِنَاءُ؛ لأَنَّه يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الرَّقْصِ فَيُغَبِّرُونَ الأَرْضَ بِالدَّقِّ والفَحْصِ وحَثَى التُّرَابِ، قالَ أَبُو مُوسَى: قالَ: الشَّافِعِيُّ: «بِالعِرَاقِ زَنَادِقَةٌ وَضَعُوا التَّغْبِيرَ»، وفي رِوَايَةٍ: «أَحْدَثُوا القَصَائِدَ لِيُشْغِلُوا النَّاسَ عَنِ القُرْآنِ» انتَهَى، وَقالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٥٩٢/١١): عَنِ التَّغْبِيرِ، فَقالَ: «وَسُئِلَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ، فَقالَ: «هُوَ مُحْدَثٌ»، قِيلَ: إِنَّهُ يُرِقُّ القَلْبَ، فَقالَ: «لَا تَجْلِسُوا مَعَهُمْ»، قِيلَ لَهُ: أَيُهْجَرُونَ؟ فَقالَ: «لَا يَبْلُغُ بِهِمْ هَذَا كُلَّهُ»، فَبَيَّنَ أَنَّهُ بِدْعَةٌ لَمْ يَفْعَلْهَا القُرُونُ الفَاضِلَةُ لَا فِي الحِجَازِ ولَا فِي الشَّامِ، ولَا فِي اليَمَنِ، ولَا فِي مِصْرَ، ولَا فِي العِرَاقِ ولَا فِي خُرَاسَانَ، ولَوْ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ بِهِ مَنْفَعَةٌ فِي دِينِهِمْ لَفَعَلَهُ السَّلَفُ، ولَمْ يَحْضُرْهُ: مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ، ولَا الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، ولَا مَعْرُوفٌ الكَرْخِيُّ، ولَا السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ، ولَا أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ، ولَا مِثْلُ عَبْدِ القَادِرِ، والشَّيْخِ عَدِيٍّ، والشَّيْخِ أَبِي البَيَانِ، ولَا الشَّيْخُ حَيَاةُ وغَيْرُهُمْ، بَلْ فِي كَلَامِ طَائِفَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ كَالشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ وغَيْرِهِ النَّهْيُ عَنْهُ، وكَذَلِكَ أَعْيَانُ المَشَايِخِ» انتَهَى.

وأَمَّا الحُدَاءُ: فَهُوَ سَوْقُ الإِبِلِ بِضَرْبٍ مَخْصُوصٍ مِنَ الغِنَاءِ، وفِي الغَالِبِ يَكُونُ بِالرَّجَزِ، وقَدْ يَكُونُ بِغَيْرِهِ مِنَ الشِّعْرِ، ومِثَالُهُ: مَا ثَبَتَ فِي البُخَارِيِّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ولَا تَصَدَّقْنَا ولَا صَلَّيْنَا

وَكَذَا مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حُدَاءِ أَنْجَشَةَ وغَيْرِهِمَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَهَذَا الحُدَاءُ لَا أعْلَمُ فِي جَوَازِهِ خِلَافًا عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ، قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ وابْنُ قُدَامَةَ والغَزَّالِيُّ وابْنُ حَجَرٍ والهَيْتَمِيُّ وغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ.

وأمَّا النَّصْبُ: فَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ النَّشِيدِ بِصَوْتٍ فِيهِ تَمْطِيطٌ دُونَ خُرُوجٍ عَنِ العَادَةِ ، وَهُوَ يُشْبِهُ الحُدَاءَ فِي حَقِيقَتِهِ (كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ) إلَّا أنَّهُ أرَقُّ مِنْهُ، ويَلْحَقُ بِهِ فِي الحُكْمِ، قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ «المُغْنِي» (٤٣/١٢): «الحُدَاءُ مُبَاحٌ لَا بَأْسَ فِي فِعْلِهِ واسْتِمَاعِهِ، وكَذَلِكَ نُشِيدُ الأعْرَابِ: وهُوَ النَّصْبُ، لَا بَأْسَ بِهِ وسَائِرِ أنْوَاعِ الإنْشَادِ، مَا لَمْ يَخْرُجْ إلَى حَدِّ الغِنَاءِ» انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ.

مِثَالُهُ: غِنَاءُ الجَارِيَتَيْنِ عِنْدَ عَائِشَةَ الَّذِي قِيلَ فِي يَوْمِ بُعَاثٍ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، وَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الصَّحَابَةِ وهُمْ يَحْدُونَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله r، عِنْدَ حَفْرِ الخَنْدَقِ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أبَدَا

فَيُجِيبُهُمْ بِقَوْلِهِ:

«اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلْأنْصَارِ والمُهَاجِرَةِ».

وَبِهَذَا خَرَجَ حَدُّ الحُدَاءِ والنَّصْبِ عَنِ الغِنَاءِ المَذْمُومِ لِكَوْنِهِمَا: لَيْسَ لَهُمَا أِلْحَانٌ مَصْنُوعَةٌ مُتَكَلَّفَةٌ بِتَلْحِينٍ وتَمْطِيطٍ وتَطْرِيبٍ: بَلْ كَانُوا يُرَقْقُونَ الصَّوْتَ ويُمَطْطُونَهُ عَلَى وَجْهٍ يَلِيقُ بِأُمِّيَّةِ العَرَبِ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا صَنَائِعَ المُوسِيقَى؛ كَمَا قَالَهُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ الله ، وَهَذَا التَّعْبِيرُ الَّذِي ذَمَّهُ الشَّافِعِيُّ وأئِمَّةُ السَّلَفِ، هُوَ شَبِيهٌ بِمَا يُسَمَّى اليَوْمَ: الأنَاشِيدَ (الإسْلَامِيَّةَ) الَّتِي يُنْشِدُهَا أهْلُهَا بِتَلْحِينٍ وتَمْطِيطٍ وتَكْسِيرٍ، مِمَّا هُوَ خَارِجٌ عَنِ العَادَةِ وسَنَنِ العَرَبِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ بَعْضُهَا بِأَصْوَاتٍ فَاتِنَةٍ مُثِيرَةٍ... فِي حِينِ أنَّهَا أصْبَحَتْ عِنْدَ بَعْضِهِمْ عَادَةً وفَنًّا ومِهْنَةً ، وَمِنْ هُنَا انْعَقَدَتْ آصِرَةُ المُبَالَغَةِ والتَّكَلُّفِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ مُنْشِدِي زَمَانِنَا فِي إخْرَاجِ هَذِهِ الأنَاشِيدِ، وفِي مُتَابَعَتِهَا مِنْ خِلَالِ تَسْجِيلَاتٍ خَاصَّةٍ، وغُرَفٍ مُحْكَمَةٍ مُجَهَّزَةٍ، ومِنْ وَرَائِهَا تَسْجِيلَاتٌ لِلْأصْوَاتِ البَشَرِيَّةِ عَبْرَ آلَاتٍ صَوْتِيَّةٍ ذَاتِ تَأْثِيرَاتٍ وتَحْسِينَاتٍ يَتَوَلَّدُ مِنْ خِلَالِهَا أصْوَاتٌ أشْبَهُ بِصَوْتِ المُوسِيقَى الآلِيَّةِ، وهَذَا فِي حَدِّ ذَاتِهِ مُضَاهَاةٌ لِلْمُوسِيقَى والمَعَازِفِ المُحَرَّمَةِ، وفِيهِ تَحَايُلٌ عَلَى الشَّرْعِ بِأضْعَفِ الأسْبَابِ والعِيَاذُ بِاللهِ، وهَكَذَا فِي مُحَاكَاةٍ ومُصَانَعَةٍ لأهْلِ الفِسْقِ والمُجُونِ فِي غِنَائِهِمْ ، وَهَكَذَا جَرَى أكْثَرُ المُتَشَدِّدِينَ هَذِهِ الأيَّامَ بِانْتِحَالِ صِنَاعَةِ هَذِهِ الأنَاشِيدِ مِنْ خِلَالِ تَلْحِينَاتٍ ونَغَمَاتٍ تَكُونُ بِتَقْطِيعِ الأصْوَاتِ عَلَى نَسَبٍ مُنْتَظِمَةٍ مَعْرُوفَةٍ، يُرَكِّبُونَ مِنْ مَجْمُوعِهَا أنْغَامًا مُنَظَّمَةً عَلَى وَجْهِ الإطْرَابِ والتَّلْحِينِ، سَوَاءٌ كَانَتْ بِصَوْتِهِمُ الطَّبِيعِيِّ أوْ بِوَاسِطَةٍ مِعْزَفَةٍ آلِيَّةٍ عَبْرَ آلَةِ «الكَمْبِيُوتَرِ»!

هَذَا إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ الشَّرِيعَةَ قَدْ حَرَّمَتِ المَزَامِيرَ لِمَا يَنْتُجُ عَنْهَا مِنْ مَعَازِفَ صَوْتِيَّةٍ نَاتِجَةٍ عَنْ طَرِيقِ الثُّقُوبِ المَوْجُودَةِ فِيهَا ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الآلَاتِ المُوسِيقِيَّةَ الَّتِي تُسَجَّلُ فِيهَا الأَصْوَاتُ البَشَرِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ، ثُمَّ يُضَافُ إِلَيْهَا تَحْسِينَاتٌ ومُؤَثِّرَاتٌ آلِيَّةٌ يَتَوَلَّدُ مِنْهَا صَوْتٌ بَشَرِيٌّ أَشْبَهُ مَا تَكُونُ مُحَاكَاةً لِلمَعَازِفِ والمَزَامِيرِ المُحَرَّمَةِ: لَا شَكَّ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الفِعْلِ مُحَرَّمٌ لِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: أَنَّهُ فِي الحَقِيقَةِ مُوسِيقَى صَوْتِيَّةٌ وأَصْوَاتُ مَعَازِفَ ومَزَامِيرَ، بَلْ رُبَّمَا كَانَتْ أَبْلَغَ مِنْ أَصْوَاتِ كَثِيرٍ مِنْ آلَاتِ المَعَازِفِ، وهُوَ كَذَلِكَ ، فَالعِبْرَةُ فِي الحُكْمِ بِالحَقِيقَةِ والمُسَمَّيَاتِ لَا بِالظُّنُونِ والأَسْمَاءِ، كَمَا أَنَّهُ يَجْرِي فِيهَا القِيَاسُ الصَّحِيحُ دُونَ خِلَافٍ لِاتِّحَادِ عِلَّةِ التَّحْرِيمِ المَوْجُودَةِ فِي صَوْتِ المَعَازِفِ والمَزَامِيرِ وغَيْرِهَا مِنْ آلَاتِ اللَّهْوِ والطَّرَبِ.

الوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ مِنَ الحِيَلِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ تَعَالَى فِي الكِتَابِ والسُّنَّةِ والإِجْمَاعِ، وقَدْ عُلِمَ بِالاضْطِرَارِ مِنَ الدِّينِ: أَنَّ إِتْيَانَ المَعَاصِي عَلَى وَجْهِهَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنِ ارْتِكَابِهَا بِالحِيَلِ ، يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «التِّبْيَانِ» (١٤٤): «يَسْتَحِيلُ عَلَى الحَكِيمِ أَنْ يُحَرِّمَ الشَّيْءَ، ويَتَوَعَّدَ عَلَى فِعْلِهِ بِأَعْظَمِ أَنْوَاعِ العُقُوبَاتِ، ثُمَّ يُبِيحُ التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ بِأَنْوَاعِ التَّحْلِيلَاتِ» انْتَهَى.

الوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ شَبِيهٌ بِفِعْلِ اليَهُودِ الَّذِينَ حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ صَيْدَ يَوْمِ السَّبْتِ، فَنَصَبُوا الشِّبَاكَ فِيهِ، ثُمَّ أَخَذُوهَا مِنَ الشِّبَاكِ يَوْمَ الأَحَدِ، واللهُ أَعْلَمُ ، وقَدْ عَرَّفَ بَعْضُهُمُ الأَنَاشِيدَ (الإِسْلَامِيَّةَ) الجَارِيَةَ عِنْدَ أَهْلِ العَصْرِ: بِأَنَّهَا رَفْعُ الصَّوْتِ بِشِعْرٍ أَوْ رَجَزٍ أَوْ نَثْرٍ بِنَوْعٍ فِيهِ تَرْجِيعٌ وتَرْقِيقٌ وتَرْنِيمٌ لِأَجْلِ إِثَارَةِ الحَمَاسِ والعَوَاطِفِ والغَيْرَةِ الدِّينِيَّةِ فِي أَوْقَاتٍ وأَمَاكِنَ مُتَنَوِّعَةٍ فَرْدًا أَوْ جَمَاعَةً ، ومِنْ خِلَالِ هَذِهِ التَّعَارِيفِ لِلأَنَاشِيدِ المُعَاصِرَةِ؛ لَا نَشُكُّ أَنَّهَا أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِالتَّغْبِيرِ الَّذِي حَرَّمَهُ وذَمَّهُ سَلَفُنَا الصَّالِحُ، كَمَا أَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الغِنَاءِ المُحَرَّمِ والمَذْمُومِ اتِّفَاقًا ، وتَزْدَادُ حُرْمَةُ هَذِهِ الأَنَاشِيدِ إِذَا كَانَتْ بِأَصْوَاتٍ فَاتِنَةٍ ولَاسِيَّمَا مِنْ بَعْضِ المُرْدَانِ والجَوَارِي الصِّغَارِ، وكَذَا تَزْدَادُ الحُرْمَةُ إِذَا خَالَطَهَا تَحْسِينَاتٌ صَوْتِيَّةٌ مِنْ خِلَالِ آلَاتٍ مَعْرُوفَةٍ (الأُسْتُدْيُو)، ومَا عَلِمُوا أَنَّ هَذَا الفِعْلَ فِي حَقِيقَتِهِ حِيلَةٌ عَلَى المُحَرَّمِ، لِأَنَّ الصَّوْتَ الَّذِي يُتْشِدُهُ الوَاحِدُ مِنْهُمْ بِطَبِيعَتِهِ لَيْسَ هُوَ الصَّوْتَ المُحَسَّنَ بِالصَّوْتِيَّاتِ الآلِيَّةِ، بَلْ هَذَا الفِعْلُ مِنْهُمْ تَلَاعُبٌ وخُرُوجٌ عَنِ الحَقِّ ، وأَشَدُّ مِنْهُ حُرْمَةً إِذَا خَرَجَتْ عَلَى تَكَلُّفٍ وتَصَنُّعٍ وذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَرْكِيبِ لَقَطَاتٍ وصُوَرٍ ومَقَاطِعَ مُخْتَلِفَةٍ مُصَاحِبَةٍ لِلأَنْشَادِ المُصَوَّرِ، وهُوَ مَا يُسَمَّى: بِـ(الفِيدْيُو كِلِيبْ)، وهَذَا مِنْهُمْ عَيْنُ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الفِسْقِ والمُجُونِ ، بَلْ أَشَدُّهَا حُرْمَةً، إِذَا أَنْشَدَهَا الرِّجَالُ ومَعَهُمْ طَبْلٌ أَوْ دُفٌّ أَوِ اتُّخِذَتْ حِرْفَةً ومِهْنَةً... وفَوْقَهُ حُرْمَةً مَا كَانَ مِنْهَا بَيْنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ عِيَاذًا بِاللهِ!

نَعَمْ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْمُتَشِدِينَ فِي زَمَانِنَا: هُمْ مُغَبِّرُونَ بِأَشْعَارِهِمْ وَأَنَاشِيدِهِمُ الَّتِي يَقْصِدُونَ بِهَا التَّزْهِيدَ فِي الدُّنْيَا وَالتَّرْغِيبَ فِي الآخِرَةِ، عَلِمُوا أَمْ جَهِلُوا، وَلْيَعْلَمُوا هَدَانَا اللهُ وَإِيَّاهُمْ؛ أَنَّ هَذِهِ الأَنَاشِيدَ الَّتِي امْتَلَأَتْ بِهَا الأَسْوَاقُ وَالمَكْتَبَاتُ لَمْ تَكُنْ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ: سَبَبًا لِإِصْلَاحِ الفَاسِدِ، أَوْ تَغْيِيرًا لِلْحَالِ الَّذِي نَعِيشُهُ، أَوْ طَرِيقًا لِعِزَّةٍ وَنَصْرِ المُسْلِمِينَ... بَلْ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِ هَذِهِ الأَنَاشِيدِ يُقَامِرُونَ بِقَضَايَا الأُمَّةِ فِي أَنَاشِيدَ سَاذَجَةٍ لَيْسَ لَهَا مِنَ الحَقِّ شَيْئًا؛ اللَّهُمَّ إِلَّا ضَيَاعَ الأَوْقَاتِ وَتَبْدِيدَ الطَّاقَاتِ، وَإِشْغَالَ النَّاشِئَةِ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَصَدَّهُمْ عَنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ، وَقَدِ انْعَقَدَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الإِيمَانَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، لَا أَنَاشِيدُ وَطَبْلٌ، وَأَيًّا كَانَ الأَمْرُ فَلْيَتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ الأَنَاشِيدِ، وَعَلَيْهِمْ بِالأَمْرِ الأَوَّلِ، كَمَا جَاءَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَفِيهِ الكِفَايَةُ وَالمَغْنَمُ.

أَمَّا إِذَا سَأَلْتَ عَنْ حَقِيقَةِ الأَنَاشِيدِ عِنْدَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، فَهِيَ كَمَا يَلِي: إِنْشَادٌ بِشِعْرٍ مِنَ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، أَوِ التَّذْكِيرِ وَالمَوَاعِظِ، أَوِ الحَمَاسَةِ وَالإِقْدَامِ وَنَحْوِهَا... بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ بِنَوْعٍ مِنَ اللَّحْنِ المُعْتَادِ بِدُونِ تَكَلُّفٍ أَوْ تَمْطِيطٍ أَوْ تَطْرِيبٍ مَصْنُوعٍ أَوْ إِيقَاعَاتٍ صَوْتِيَّةٍ أَوْ أَصْوَاتٍ فَاتِنَةٍ، وَذَلِكَ فِي مُنَاسَبَاتٍ وَأَحَايِينَ يَقْتَضِيهَا الحَالُ: كَحَالِ القِتَالِ وَالنِّزَالِ وَالأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ وَحُدَاءِ الرَّكْبِ وَالقَافِلَةِ وَفِي غَيْرِهَا مِمَّا صَحَّتْ بِهِ السُّنَّةُ وَعَرَفَتْهَا العَرَبُ فِي سَنَنِ أَنَاشِيدِهَا، كَحَالِ الأُمِّ مَعَ طِفْلِهَا، وَالرَّاعِي مَعَ غَنَمِهِ، وَهَكَذَا.

أَمَّا أَنْ تُتَّخَذَ هَذِهِ الأَنَاشِيدُ عَادَةً جَارِيَةً، أَوْ مِهْنَةً وَاحْتِرَافًا عِنْدَ بَعْضِ المُتَشِدِينَ الَّذِينَ أَصْبَحُوا أَعْلَامًا فِي الإِنْشَادِ، وَأَمْسَتْ أَسْمَاؤُهُمْ رَمْزًا فِي قَوَائِمِ المُتَشِدِينَ... فَهَذَا النَّوْعُ مِمَّا حَرَّمَهُ السَّلَفُ الصَّالِحُ اتِّفَاقًا، وَمِنْهُم مَنْ حَكَى الإِجْمَاعَ عَلَى تَحْرِيمِهِ وَذَمِّهِ، وَاللهُ المُوَفِّقُ وَالهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَخِي المُسْلِمَ أَنَّ الإِنْشَادَ (الإِسْلَامِيَّ) المُعَاصِرَ فِي حَقِيقَتِهِ: هُوَ نَوْعٌ مِنَ الحُدَاءِ وَالنَّصْبِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ، لَكِنَّهُ اليَوْمَ (لِلْأَسَفِ) قَدْ خَرَجَ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ، وَخَالَفَ سَنَنَ العَرَبِ فِي إِنْشَادِهِمْ لِكَوْنِهِ تَلَبَّسَ بِشَيْءٍ مِنَ المَحْظُورَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، لِذَا كَانَ وَاجِبًا عَلَى القَائِمِينَ عَلَى هَذِهِ الأَنَاشِيدِ أَنْ يَحْظُرُوا فِي إِنْشَادِهِمْ مِمَّا يَلِي:

المَحْظُورُ الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الإِنْشَادُ بِتَلْحِينٍ وَتَطْرِيبٍ وَتَمْطِيطٍ وَتَكْسِيرٍ فِي الأَصْوَاتِ، مِمَّا خَرَجَ عَنِ العَادَةِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مَقْطُوعَاتٍ صَوْتِيَّةٍ وَأَنْغَامٍ شَجِيَّةٍ، وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا كَلَامُ ابْنِ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ «المُغْنِي» (٤٣/١٢) إِذْ يَقُولُ: «الحُدَاءُ مُبَاحٌ لَا بَأْسَ فِي فِعْلِهِ وَاسْتِمَاعِهِ، وَكَذَلِكَ نَشِيدُ الأَعْرَابِ: وَهُوَ النَّصْبُ، لَا بَأْسَ بِهِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الإِنْشَادِ، مَا لَمْ يَخْرُجْ إِلَى حَدِّ الغِنَاءِ»، وَبِمِثْلِهِ قَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ «الاعْتِصَام» (٣٤٨/١): «وَلَمْ يَكُنِ المَاضُونَ الأَوَّلُونَ الَّذِينَ هُمْ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، لَمْ يَكُونُوا يَتَصَنَّعُونَ أَوْ يَتَكَلَّفُونَ فِي إِنْشَادِ الشِّعْرِ إِلَّا مِنْ وَجْهِ إِرْسَالِ وَجْهِ الشِّعْرِ وَاتِّصَالِ القَوَافِي، فَإِنْ كَانَ صَوْتُ أَحَدِهِمْ أَشْجَنَ مِنْ صَاحِبِهِ كَانَ ذَلِكَ مَرْدُودًا إِلَى أَصْلِ الخِلْقَةِ لَا يَتَكَلَّفُونَ وَلَا

يَتَصَنَّعُونَ» انْتَهَى ، لِذَا فَالحَدُّ الشَّرْعِيُّ لِلنَّشِيدِ: هُوَ مَا كَانَ يُفْعَلُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ r، وأَصْحَابِهِ ومَنْ يُقْتَدَى بِهِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، ومَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَخَارِجٌ عَنِ السُّنَّةِ والحَقِّ، «فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ» (يونس: ٣٢).

المَحْظُورُ الثَّانِي: أَوْ يَكُونَ بِأَصْوَاتٍ فَاتِنَةٍ مُثِيرَةٍ، سَوَاءٌ كَانَتْ بِأَصْوَاتِ صِبْيَانٍ أَوْ جَوَارٍ ونِسْوَانٍ.

المَحْظُورُ الثَّالِثُ: أَوْ يَكُونَ نَشِيدُ الرِّجَالِ مُصَاحِبًا لِلدُّفُوفِ أَوِ الطَّبْلِ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ آلَاتِ الطَّرَبِ.

المَحْظُورُ الرَّابِعُ: أَوْ يَكُونَ مُتَضَمِّنًا لِلتَّصْفِيقِ أَوِ التَّصْفِيرِ أَوِ الرَّقْصِ.

المَحْظُورُ الخَامِسُ: أَوْ يَكُونَ مُرَكَّبًا ومُعَالَجًا مِنْ خِلَالِ تَحْسِينَاتٍ صَوْتِيَّةٍ عَبْرَ آلَاتٍ صَوْتِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ، وهُوَ مَا يُسَمَّى بِالتَّحْسِينَاتِ الصَّوْتِيَّةِ، المُعَالَجَةِ بِـ(الأُسْتُدْيُو).

المَحْظُورُ السَّادِسُ: أَوْ يَكُونَ مُرَكَّبًا ضِمْنَ لَقَطَاتٍ وصُوَرٍ ومَقَاطِعَ مُخْتَلِفَةٍ، وهُوَ مَا يُسَمَّى: بِـ(الفِيدْيُو كِلِيبْ) لأَنَّهُ مِنَ التَّشَبُّهِ بِالفُسَّاقِ.

المَحْظُورُ السَّابِعُ: أَوْ يَكُونَ إِنْشَادًا مُخْتَلَطًا بَيْنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ عِيَاذًا بِاللهِ!

المَحْظُورُ الثَّامِنُ: أَوْ يَكُونَ عَادَةً فِي كُلِّ وقْتٍ، ورُبَّمَا اتَّخَذَهُ بَعْضُهُمْ حِرْفَةً ومِهْنَةً.

المَحْظُورُ التَّاسِعُ: أَوْ يَكُونَ مُتَضَمِّنًا لِشِعْرٍ أَوْ نَثْرٍ مُحَرَّمَيْنِ.

المَحْظُورُ العَاشِرُ: أَوْ يَكُونَ فِيهِ تَشَبُّهٌ بِأَلْحَانٍ أَوْ كَلِمَاتِ أَهْلِ الفِسْقِ والمُجُونِ، وذَلِكَ بِطُرُقِ وتَوْقِيعِ كَلِمَاتِ الإِنْشَادِ عَلَى أَوْزَانٍ ونَغَمَاتٍ وتَلْحِينِ بَعْضِ أَغَانِي أَهْلِ الفِسْقِ أَوْ تَضْمِينِ الإِنْشَادِ بَعْضَ الكَلِمَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الفِسْقِ والمُجُونِ: مِثْلَ الآهَاتِ «آآآلله» و«آآآه »، و«يَاآآ عَيْن»، و«يَاآآ لَيْل»، وغَيْرِهَا مِنْ تَمْدِيدِ الكَلِمَاتِ مَدًّا فَاحِشًا خَارِجًا عَنِ العَادَةِ ، وقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» أَحْمَدُ، وأَبُو دَاوُدَ، وهُوَ صَحِيحٌ.

المَحْظُورُ الحَادِيَ عَشَرَ: أَوْ يَكُونَ فِيهِ تَشَبُّهٌ بِظَاهِرِ هَيْئَةِ أَهْلِ الفِسْقِ فِي غِنَائِهِمْ مِنْ حَيْثُ الأَدَاءِ والإِلْقَاءِ والوُقُوفِ والاصْطِفَافِ واللِّبَاسِ والحَرَكَاتِ، ولَاسِيَّمَا الضَّرْبِ بِالأَيْدِي عَلَى نَحْوِ التَّصْفِيقِ وضَرْبِ الأَرْضِ بِالأَرْجُلِ وهَزِّ الرُّؤُوسِ، والتَّمَايُلِ والتَّكَسُّرِ فِي الجِسْمِ، وهَكَذَا مِنَ التَّشَبُّهَاتِ الجَارِيَةِ عَلَى عَادَاتِ وصَنَائِعِ أَهْلِ الفِسْقِ عِنْدَ غِنَائِهِمْ ، قَالَ الغَزَّالِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الإِحْيَاءِ» (٢/٢٢): «لَو اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ وزَيَّنُوا مَجْلِسًا وأَحْضَرُوا آلَاتِ الشُّرْبِ وأَقْدَاحَهُ، وصَبُّوا فِيهَا السِّكَنْجَبِينَ (شَرَابٌ مُبَاحٌ)، ونَصَبُوا سَاقِيًا يَدُورُ عَلَيْهِمْ، فَيَأْخُذُونَ مِنَ السَّاقِي ويَشْرَبُونَ، ويُحَيِّي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِكَلِمَاتِهِمُ المُعْتَادَةِ بَيْنَهُمْ: حَرُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وإِنْ كَانَ المَشْرُوبُ مُبَاحًا فِي نَفْسِهِ؛ لأَنَّ فِي هَذَا

تَشَبُّهًا بِأَهْلِ الفِسْقِ» انْتَهَى بِتَصَرُّفٍ ، وَمِنَ التَّحْذِيرِ مِنَ التَّمَايُلِ وهَزِّ الرُّؤُوسِ، مَا ثَبَتَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ أُمَّ عَلْقَمَةَ رَحِمَهَا اللهُ، قَالَتْ: أَنَّ بَنَاتِ أَخِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا خُفِضْنَ (خُتِنَّ)، فَأَلِمْنَ ذَلِكَ فَقِيلَ لِعَائِشَةَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، أَلَا نَدْعُو لَهُنَّ مَنْ يُلْهِيهِنَّ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَتْ أُمُّ عَلْقَمَةَ: فَأَرْسِلَ إِلَى فُلَانٍ المُغَنِّي فَأَتَاهُمْ، فَمَرَّتْ بِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي البَيْتِ، فَرَأَتْهُ يَتَغَنَّى وَيُحَرِّكُ رَأْسَهُ طَرَبًا، وَكَانَ ذَا شَعَرٍ كَثِيرٍ، فَقَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أُفٍ، شَيْطَانٌ! أَخْرِجُوهُ، أَخْرِجُوهُ، فَأَخْرَجُوهُ!» أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي «الأَدَبِ المُفْرَدِ» (١٢٤٧)، والبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبْرَى» (٢٢٣/١٠)، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

المَحْظُورُ الثَّانِيَ عَشَرَ: أَوْ يَكُونَ مُلْهِيًا عَنْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ، أَوْ مِمَّا هُوَ أَوْلَى وأَكْمَلُ شَرْعًا وطَبْعًا.

المَحْظُورُ الثَّالِثَ عَشَرَ: أَوْ يَكُونَ مُنْتَسَبًا أو مُضَافًا إِلَى الإِسْلَامِ، وذَلِكَ تَحْتَ مُسَمَّيَاتِ: الإِنْشَادِ الإِسْلَامِيِّ، أو الإِنْشَادِ الدِّينِي ، ومِنْ هُنَا؛ فَلْيَعْلَمْ كُلُّ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ لم يُشَرِّعْ لأُمَّتِهِ إِلَّا قِرَاءَةَ القُرْآنِ والذِّكْرِ... أَمَّا النَّشِيدُ فَلَمْ يُشَرِّعْهُ لأُمَّتِهِ، ولم يَأْمُرْ بِهِ، ولم يَحْتَرِفْهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أو التَّابِعِينَ أو أَحَدٌ مِنْ صَالِحِي هَذِهِ الأُمَّةِ... لِذَا كَانَ مِنَ الحِنْثِ العَظِيمِ تَسْمِيَةَ هَذِهِ الأَشْعَارِ: بالأَنَاشِيدِ الإِسْلَامِيَّةِ أو الدِّينِيَّةِ ، فَعِنْدَئِذٍ؛ كَانَ مِنَ التَّلْبِيسِ والتَّدْلِيسِ أَنْ نُلْصِقَ أو نُضِيفَ إِلَى الإِسْلَامِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، حَيْثُ تَقَرَّرَ شَرْعًا أَنَّ كُلَّ قَوْلٍ أو فِعْلٍ أُضِيفَ إِلَى الإِسْلَامِ فَهُوَ مِنَ المَأْمُورِ بِهِ شَرْعًا إِمَّا عَلَى وَجْهِ الإِيجَابِ أو الاسْتِحْبَابِ، والحَالَةُ هَذِهِ كَانَ مِنَ الخَطَإِ هَذِهِ النِّسْبَةُ الإِسْلَامِيَّةُ ، بَلْ كَانَ النَّشِيدُ فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ مِنَ الأَلْحَانِ الَّتِي أَقَرَّتْهَا الشَّرِيعَةُ على وَجْهِ الجَوَازِ فِي حَالَاتٍ وأَوْقَاتٍ لا غَيْرَ، فَلَمْ يَكُنْ دِيمَةً فِي كُلِّ وقتٍ، أو حِرْفَةً يُشْتَهَرُ بِهَا، أو صَنْعَةً يُعْمَلُ عَلَيْهَا ، وعلى هَذَا كَانَ مِنْ دَبِيبِ الخَطَإِ مُسَارَقَةُ هَذِهِ التَّسْمِيَاتِ (الإِسْلَامِيَّةِ) فِي كُلِّ مَا نَأْتِي ونَذَرُ، ولاسِيَّمَا فِي النَّوَازِلِ المُعَاصِرَةِ الَّتِي أَجْلَبَتْهَا قُرُوحُ أَفْكَارِ طَوَائِفَ مِنَ المُسْلِمِينَ بِلَا دَلِيلٍ أو تَعْلِيلٍ، مِثْلَ قَوْلِهِم : الأَنَاشِيدُ الإِسْلَامِيَّةُ، التَّمْثِيلِيَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ، والأَعْرَاسُ الإِسْلَامِيَّةُ، والرِّحْلَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ، والمُخَيَّمَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ، وكَذَا الكِتَابُ الإِسْلَامِيُّ، والفِقْهُ الإِسْلَامِيُّ... وهَكَذَا تَحْتَ مُسَمَّيَاتِ الإِسْلَامِ[١]... لأَنَّ الأَصْلَ فِيمَا يَفْعَلُهُ المُسْلِمُ مِنَ الأَقْوَالِ والأَفْعَالِ مُنْدَرِجٌ تَحْتَ قَاعِدَةِ الإِسْلَامِ أَمْرًا ونَهْيًا... واللهُ يَهْدِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

المَحْظُورُ الرَّابِعَ عَشَرَ: وهُوَ مِنْ أَخْطَرِهَا مَأْخَذًا، أَنْ يَكُونَ هَذَا النَّشِيدُ عَادَةً وتَسْلِيَةً، وحَظًّا لِلنَّفْسِ الفَارِغَةِ، والرُّوحِ البَاطِلَةِ؛ بِحَيْثُ يَتَقَلَّبُ هَذَا النَّشِيدُ مِنْ مَقْصُودٍ إِلَى الشَّرْعِيِّ: وهُوَ التَّذَكِيرُ والتَّزْهِيدُ والتَّحْمِيسُ ونَحْوُهُ إِلَى التِذَاذِ سَمْعِي وحَظِّ نَفْسِي، لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا العَادَةُ المُسْتَحْكِمَةُ، والتَّسْلِيَةُ المَذْمُومَةُ، والعُزُوفُ عَنْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ؛ لاسِيَّمَا عَنْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ، وطَلَبِ العِلْمِ ، ومِنَ الأَسَفِ؛ أَنَّ هَذَا الفِعْلَ أَصْبَحَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ مُحِبِّي الأَنَاشِيدِ المُعَاصِرَةِ مِنَ الشَّبِيبَةِ، خُصُوصًا النِّسَاءَ وأَهْلَ النُّفُوسِ

الضَّعِيفَةِ مِنَ الشَّبَابِ وغَيْرِهِمْ، واللهِ المُسْتَعَانُ ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَسْأَلَةِ السَّمَاعِ» (١٣٩): «سَمَاعُ الأَشْعَارِ التِي تَتَضَمَّنُ إِثَارَةَ فِي القَلْبِ مِنَ الحُبِّ والخَوْفِ والرَّجَاءِ والطَّلَبِ والأُنْسِ والشَّوْقِ والقُرْبِ وتَوَابِعِهَا إِذَا صَادَفَ مِنْ قُلُوبٍ سَامِعِيهَا حُبًّا وطَلَبًا، فَأَثَارَهُ إِثَارَةً مُمْتَزِجَةً بِحَظِّ النَّفْسِ: وهُوَ نَصِيبُهَا مِنَ اللَّذَّةِ والطَّرَبِ الذِي يُحْدِثُهُ السَّمَاعُ، فَيَظُنُّ تِلْكَ اللَّذَّةَ والطَّرَبَ زِيَادَةً فِي صَلَاحِ القَلْبِ وإِيمَانِهِ وحَالِهِ الذِي يُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ، وهُوَ مَحْضُ حَظِّ النَّفْسِ» انْتَهَى ، ومِنْ هُنَا كَانَ وَاجِبًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُفَتِّشَ نَفْسَهُ ويُكَاشِفَ قَلْبَهُ عِنْدَ سَمَاعِهِ لِلأَنَاشِيدِ اليَوْمَ، واللهُ الهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ، فَعِنْدَئِذٍ لَا تَفْرَحْ! بِمَا يُسَمِّيهِ بَعْضُ النِّسَاءِ فِي لَيَالِي الأَعْرَاسِ: بِالطَّرَبِ أَوِ الطَّقِّ الإِسْلَامِيِّ، ومَا يَجْلِبُونَهُ مِنْ مُغَنِّيَاتٍ أَوْ مُنْشِدَاتٍ أَوْ طَبَّالَاتٍ؛ تَحْتَ مُسَمَّى: طَقَاقَاتٍ إِسْلَامِيَّةٍ([٢]) ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الشَّوَاكِلِ النَّازِلَةِ فِي أَعْرَاسِ المُسْلِمِينَ هَذِهِ الأَيَّامَ لَا تَخْلُو غَالِبًا مِنْ مَحْظُورَاتٍ شَرْعِيَّةٍ أَجْلَبَتْهَا بَعْضُ العُقُولِ النَّاقِصَةِ، والنُّفُوسِ الضَّعِيفَةِ لَدَى طَائِفَةٍ مِنْ نِسَاءِ المُسْلِمِينَ ، فَمِنْ ذَلِكَ: التَّغْبِيرُ الذِي ذَمَّهُ أَئِمَّةُ السَّلَفِ، حَيْثُ أَنَّ أَشْعَارَهُم وأَغَانِيَهُم تُنْشَدُ بِتَلْحِينٍ وتَمْطِيطٍ وتَطْرِيبٍ وتَكْسِيرٍ، أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِغِنَاءِ أَهْلِ الفِسْقِ، كَمَا أَنَّهَا أَصْبَحَتْ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ المُغَنِّيَاتِ (الطَّقَاقَاتِ) عَادَةً وفَنًّا وحِرْفَةً، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ ومُشَاهَدٌ، ومِنْهُ تَغَالَتِ النِّسَاءُ فِي أُجْرَةِ هَذِهِ المُنْشِدَةِ (الطَّقَاقَةِ) ، وكَذَا لَمْ تَسْلَمْ أَكْثَرُ هَذِهِ الأَعْرَاسِ مِنْ تَصْفِيقٍ وتَصْفِيرٍ، ورَقْصٍ وتَثَنٍّ وتَمَايُلٍ مَذْمُومٍ، وتَشَبُّهٍ بِبَعْضِ أَلْحَانٍ أَوْ كَلِمَاتِ أَهْلِ الفِسْقِ والمُجُونِ، وغَيْرِ ذَلِكَ مما سَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

ومِنْ هُنَا كَانَ الإِنْشَادُ على قِسْمَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا: جَائِزٌ ، ومَمْنُوعٌ.

فَأَمَّا القِسْمُ الأَوَّلُ: فَهُوَ الإِنْشَادُ الجَائِزُ الَّذِي أَقَرَّتْهُ الشَّرِيعَةُ، وهُوَ الجَارِي على سَنَنِ العَرَبِ مِنَ قَصَائِدِ الزُّهْدِ والرَّقَائِقِ، والتَّذْكِيرِ والمَوَاعِظِ، والحَمَاسَةِ والإِقْدَامِ ونَحْوِهَا... بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ بِنَوْعٍ مِنَ اللَّحْنِ المُعْتَادِ بِدُونِ تَكَلُّفٍ أَوْ تَطْرِيبٍ، وذَلِكَ فِي مُنَاسَبَاتٍ وأَحَايِينَ يَقْتَضِيهَا الحَالُ : كَحَالِ القِتَالِ والنِّزَالِ والأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ وحُدَاءِ الرَّكْبِ والقَافِلَةِ وفِي غَيْرِهَا مِمَّا صَحَّتْ بِهِ السُّنَّةُ وعَرَفَتْهَا العَرَبُ فِي سَنَنِ أَنَاشِيدِهَا، كَحَالِ الأُمِّ مَعَ طِفْلِهَا، والرَّاعِي مَعَ غَنَمِهِ، وهَكَذَا.

أَمَّا القِسْمُ الثَّانِي : فَهُوَ الإِنْشَادُ المَمْنُوعُ، الَّذِي خَرَجَ عَنِ اللَّحْنِ المُعْتَادِ الَّذِي تَعْرِفُهُ العَرَبُ فِي إِنْشَادِهَا، مِما هُوَ جَارٍ بِتَكَلُّفٍ أَوْ تَمْطِيطٍ أَوْ تَطْرِيبٍ مَصْنُوعٍ أَوْ إِيقَاعَاتٍ صَوْتِيَّةٍ أَوْ أَصْوَاتٍ فَاتِنَةٍ... أَوِ اتِّخَاذُهُ عَادَةً؛ أَوْ مِهْنَةً واحْتِرَافًا، أَوْ تَلَبُّسٌ بِغَيْرِهَا مِمَّا ذُكِرَ مِنَ المَحْظُورَاتِ الشَّرْعِيَّةِ... فَهَذَا النَّوْعُ قَدِ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ على تَحْرِيمِهِ، ومِنْهُم مَنْ حَكَى الإِجْمَاعَ عَلَى حُرْمَتِهِ وذَمِّهِ، واللهُ المُوَفِّقُ والهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

وهُنَا إيْرَادٌ كَثِيْرًا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ عُشَّاقِ الأَنَاشِيْدِ المُغَيِّرَةِ هَذِهِ الأَيَّامَ: وهُوَ أنَّ الأَنَاشِيْدَ (الإسْلامِيَّة) صَالِحَةٌ لدَعْوَةِ كَثِيرٍ مِنَ العُصَاةِ الَّذِيْنَ قدِ ابْتُلُوا بالأغاني المحرَّمَةِ، لِذَا كانَتْ هَذِهِ الأَنَاشِيْدُ عِنْدَنَا تُعْتَبَرُ بَدِيْلا صَارِفا عَنْ مُوَاقَعَةِ المحرَّمَاتِ عِنْدَ طائِفَةٍ مِنَ المسْلِمِيْنَ، والوَسَائِلُ لها أحْكامُ المقاصِدِ.

قُلْتُ: لاشكَّ أنَّ الفَاسِقَ المِلِّيَّ إذَا عَصَى اللهَ تَعَالى فَهُوَ يَعْتَقِدُ أنَّ مَا يَفْعَلُهُ حَرَامٌ في الإسْلامِ، كمَا أنَّه يَخَافُ عُقُوْبَتَهُ، لِذَا تَرَاهُ يَرْجُو التَّوْبَةَ ويَسْأَلُ اللهَ المَغْفِرَةَ لأنَّه يَعْتَقِدُ حُرْمَةَ هَذِهِ المَنَاكِيْرِ، ولاسِيَّما الأغاني مِنْهَا ، فكانَ والحالةِ هَذِهِ دَفْعُنَا أهْلَ الأغاني إلى ارْتِكابِ المعَاصِي باسْمِ: الأَنَاشِيْدِ (الإسْلامِيَّة)، وتَسْوِيْغُنَا لهُم إبَاحَتَهَا يُعَدُّ ذَنْبًا آخَرَ أعْظَمَ مِن ارْتِكابِهِم للمَعَاصِي على وَجْهِهَا، لأنَّ العَاصِيَ كمَا ذَكَرْنَا يَرْتَكِبُ المعْصِيَةَ عَالِما أنَّهَا ذَنْبٌ بِخِلافِ هَذِهِ الأَنَاشِيْدِ؛ لأنَّهُ سَوْفَ يَسْمَعُهَا على أنَّهَا مُبَاحَةٌ وعَمَلٌ مَبْرُوْرٌ ، فعِنْدَئِذٍ تَكُوْنُ التَّوْبَةُ مِنْهُم مَيْئُوسٌ مِنْهَا لأنَّهُم لا يَرَوْنَ في سَمَاعِ الأَنَاشِيْدِ المحرَّمَةِ غَضَاضَةً أو كَرَاهَةً؛ هَذِهِ الأُوْلى ، وأمَّا الثَّانِيَةُ : فقدْ عُلِمَ بالاضْطِرارِ في دِيْنِ الإسْلامِ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ وأصْحَابَهُ الكِرَامَ وتَابِعِيْهِم بإحْسَانٍ مِنْ صَالِحِي هَذِهِ الأُمَّةِ لم يَكُوْنُوا يَدْعُوْنَ أحَدًا مِنَ العُصَاةِ بِطَرِيْقِ بِدْعِيٍ أو مُحَرَّمٍ، ولم يَكُوْنُوا يُؤَلِّفُوْنَ قُلُوْبَ النَّاسِ بشَيءٍ مِنْ هَذِهِ المحْدَثَاتِ والمحرَّمَاتِ، وإنَّمَا كانُوا يَدْعُوْنَهُم إلى تِلاوَةِ القُرْآنِ والذِّكْرِ والتَّذْكِيْرِ والمَوْعِظَةِ الحسَنَةِ تَرْغِيْبًا وتَرْهِيْبًا ، ومَن ادَّعَى أنَّه على مَرْتَبَةٍ في الدَّعْوَةِ هِيَ خَيْرٌ مما كانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ فقَوْلُهُ مُبْتَدَعٌ مَرْدُوْدٌ سَاقِطٌ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ والإجْمَاعِ، ولا يُخَالِفُ في هَذَا إلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُوْمُ النِّفَاقِ ، والثَّالِثَةُ : قدْ أشَارَ إلَيْهَا شَيْخُ الإسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ مَا نَحْنُ بِصَدَدِ الحدِيْثِ عَنْهُ حَدْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ، كمَا يَلي: وهَذَا نَصُّ السُّؤَالِ كمَا جَاءَ في «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (٦٢٠/١١): «سُئِلَ عَنْ جَمَاعَةٍ يَجْتَمِعُوْنَ على قَصْدِ الكبَائِرِ، مِنَ القَتْلِ، وقَطْعِ الطَّرِيْقِ، والسَّرِقَةِ، وشُرْبِ الخُمُوْرِ وغَيْرِ ذَلِك، ثُمَّ إنَّ شَيْخًا مِنَ المشَايِخِ المعرُوْفِيْنَ بالخَيْرِ واتِّبَاعِ السُّنَّةِ مَنَعَ المذْكُوْرِيْنَ مِنْ ذَلِك، فلَمْ يُمْكِنْهُ إلَّا أنْ يُقِيْمَ لَهُم سَمَاعًا يَجْتَمِعُوْنَ فِيْهِ بِهَذِهِ النِّيَّةِ، وهُوَ بِدُفٍّ بِلا صَلاصِلَ، وغِنَاءُ المغَنِّي بشِعْرٍ مُبَاحٍ بغَيْرِ شَبَّابَةٍ، فلَمَّا فَعَلَ هَذَا تَابَ مِنْهُم جَمَاعَةٌ، وأصْبَحَ مَنْ لا يُصَلِّي ويَسْرِقُ ولا يُزَكِّي يَتَوَرَّعُ عَنِ الشُّبَهَاتِ، ويُؤَدِّي المفْرُوْضَاتِ، ويَجْتَنِبُ المحرَّمَاتِ، فهَلْ يُبَاحُ فِعْلُ هَذَا السَّمَاعِ لِهَذَا الشَّيْخِ على هَذَا الوَجْهِ؟ لِما يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ المصَالِحِ، مَعَ أنَّه لا يُمْكِنُهُ دَعْوَتُهُم إلَّا بِهَذَا ، فأجَابَ رَحِمَهُ اللهُ بجوَابٍ طَوِيْلٍ، ذَكَرَ فِيْهِ: «بأنَّ الدِّيْنَ قدْ كُمِلَ، وأنَّهُ يَجِبُ لُزُوْمُ السُّنَّةِ في الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تَعَالى، مَعَ ذِكْرِ الأدِلَّةِ على كلِّ مَسْأَلَةٍ مِنَ القُرْآنِ والسُّنَّةِ وأقْوَالِ سَلَفِ الأُمَّةِ» ، ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «إذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَنَقُوْلُ: إنَّ الشَّيْخَ المَذْكُوْرَ قَصَدَ أنْ يَتُوْبَ المجْتَمِعُوْنَ على الكبَائِرِ، فلَمْ يُمْكِنْهُ ذَلِك إلَّا بِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الطَّرِيْقِ البِدْعِيِّ، يَدُلُّ أنَّ الشَّيْخَ جَاهِلٌ بالطُّرُقِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي بِهَا تَتُوْبُ العُصَاةُ، أو عَاجِزٌ عَنْهَا، فإنَّ الرَّسُوْلَ ﷺ والصَّحَابَةَ والتَّابِعِيْنَ كانُوا يَدْعُوْنَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْ هَؤلاءِ مِنْ أهْلِ الكفرِ والفسُوْقِ

والعِصْيَانِ بالطُّرُقِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي أغْنَاهُم اللهُ بِهَا عَنِ الطُّرُقِ البِدْعِيَّةِ، فَلا يَجُوْزُ أنْ يُقَالَ إنَّه لَيْسَ فِي الطُّرُقِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي بَعَثَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ مَا يَتُوْبُ بِهِ العُصَاةِ! فإنَّه قدْ عُلِمَ بالاضْطِرَارِ والنَّقْلِ المُتَوَاتِرِ أنَّه قدْ تَابَ مِنَ الكفرِ والفِسُوْقِ والعِصْيَانِ مَنْ لا يُحْصِيْهِ إلا اللهُ تَعَالى مِنَ الأُمَمِ بالطُّرُقِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي لَيْسَ فِيْهَا مَا ذُكِرَ مِنَ الاجْتِمَاعِ البِدْعِيِّ، بَلِ السَّابِقُوْنَ الأوَّلُوْنَ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ والأنْصَارِ والذِيْنَ اتَّبَعُوْهُم بإحْسَانٍ، وهُمْ خَيْرُ أوْلِيَاءِ اللهِ المُتَّقِيْنَ مِنْ هَذِهِ الأمَّةِ تَابُوا إلى اللهِ تَعَالى بالطُّرُقِ الشَّرْعِيَّةِ، لا بِهَذِهِ الطُّرُقِ البِدْعِيَّةِ، وأمْصَارُ المُسْلِمِيْنَ وقُرَاهُم قدِيْمًا وحَدِيْثًا مَمْلُوءَةٌ مِمَّنْ تَابَ إلى اللهِ واتَّقَاهُ وفَعَلَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ ويَرْضَاهُ بالطُّرُقِ الشَّرْعِيَّةِ لا بِهَذِهِ الطُّرُقِ البِدْعِيَّةِ» ، وبِمِثْلِهِ أيْضًا قالَ رَحِمَهُ اللهُ جَوَابًا لِمَنْ يَتَعَلَّلُ بأنَّهُم يَصْطَادُوْنَ بالأنَاشِيْدِ المُطْرِبَةِ والسَّمَاعِ العَوَامَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ ، فقالَ (٦٠١/١١): «وأمَّا قَوْلُ القَائِلِ: هَذِهِ شَبَكَةٌ يُصَادُ بِهَا العَوَامُّ ، فقدْ صَدَقَ؛ فإنَّ أكْثَرَهُمْ إنَّمَا يَتَّخِذُونَ ذَلِكَ شَبَكَةً لِأجْلِ الطَّعَامِ والتَّوَانُسِ عَلَى الطَّعَامِ ، كَمَا قَالَ اللهُ فِيهِمْ: «يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ كَثِيرًا مِنَ الأحْبَارِ والرُّهْبَانِ لَيَأكُلُونَ أمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ ويَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ»، ومَنْ فَعَلَ هَذَا فَهُوَ مِنْ أئِمَّةِ الضَّلالِ الَّذِينَ قِيلَ فِي رُؤُوسِهِم: «يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أطَعْنَا اللهَ وأطَعْنَا الرَّسُولا وقالوا رَبَّنَا إنَّا أطَعْنَا سَادَتَنَا وكُبَرَاءَنَا فأضَلُّونَا السَّبِيلا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ والعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» ، وأمَّا الصَّادِقُونَ مِنْهُمْ: فَهُمْ يَتَّخِذُونَهُ شَبَكَةً؛ لَكِنْ هِيَ شَبَكَةٌ مُخَرَّقَةٌ يَخْرُجُ مِنْهَا الصَّيْدُ إذَا دَخَلَ فِيهَا، كَمَا هُوَ الوَاقِعُ كَثِيرًا؛ فإنَّ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي السَّمَاعِ المُبْتَدَعِ فِي الطَّرِيقِ، ولَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ أصْلٌ شَرْعِيٌّ شَرَعَهُ اللهُ ورَسُولُهُ أوْرَثَتْهُمْ أحْوَالا فَاسِدَةً!» انْتَهَى.

خُلاصَةُ الفَصْلِ:

أوَّلًا: لَقَدْ تَوَاتَرَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَوْلُهُ: «خَلَّفْتُ بِبَغْدَادَ شَيْئًا أحْدَثَتْهُ الزَّنَادِقَةُ، يُسَمُّونَهُ التَّغْبِيرَ، يَصُدُّونَ بِهِ عَنِ القُرْآنِ»، وكَذَا ثَبَتَ عَنْ غَيْرِهِ مِن أئِمَّةِ السَّلَفِ: التَّحْذِيْرُ مِنَ التَّغْبِيْرِ، بَلْ عَدَّهُ بَعْضُهُم بِدْعَةً مُحْدَثَةً.

ثَانِيًا: فَأمَّا التَّغْبِيرُ: فَهُوَ شِعْرٌ يُغَنِّي بِهِ المُغَنِّي يُزَهِّدُ بِهِ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِ التَّلْحِينِ والتَّطْرِيبِ المُعْتَدِلِ!

ثَالِثًا: أنَّ الإنْشَادَ (الإسْلامِيَّ) المُعَاصِرَ فِي حَقِيقَتِهِ: هُوَ نَوْعٌ مِنَ الحُدَاءِ والنَّصْبِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ، لَكِنَّهُ قدْ خَرَجَ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ، لِكَوْنِهِ تَلَبَّسَ بِشَيْءٍ مِنَ المَحْظُورَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، فَعِنْدَئِذٍ أصْبَحَ الإنْشَادُ (الإسْلامِيُّ) اليَوْمَ تَغْبِيرًا مُحَرَّمًا.

رَابِعًا: كَانَ مِنَ الخَطَإِ نِسْبَةُ أو إضَافَةُ الإنْشَادَ المُعَاصِرَ إلى الإسْلامِ، وذَلِكَ تَحْتَ مُسَمَّيَاتِ: الإنْشَادِ الإسْلامِيِّ، أو الإنْشَادِ الدِّينِي!

لأنَّ النَّشِيْدَ لَمْ يُشَرِّعْهُ لأمَّتِهِ، ولم يَأمُرْ بِهِ، ولم يَحْتَرِفْهُ أحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أو التَّابِعِيْنَ أو أحَدٌ مِنْ صَالِحِي هَذِهِ الأمَّةِ.

خَامِسًا: أنَّ الإنْشَادَ على قِسْمَيْنِ: جَائِزٌ، ومَمْنُوْعٌ.

القِسْمُ الأوَّلُ: فَهُوَ الإنْشَادُ الجَائِزُ الَّذِي أقَرَّتْهُ الشَّرِيْعَةُ، وهُوَ الجَارِي على سَنَنِ العَرَبِ مِنَ قَصَائِدِ الزُّهْدِ والرَّقَائِقِ، والتَّذْكِيرِ والمَوَاعِظِ، والحِمَاسَةِ والإقْدَامِ ونَحْوِهَا... بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ بِنَوْعٍ مِنَ اللَّحْنِ المُعْتَادِ بِدُونِ تَكَلُّفٍ أوْ تَطْرِيبٍ، وذَلِكَ فِي مُنَاسَبَاتٍ وأحَايِينَ يَقْتَضِيهَا الحَالُ: كَحَالِ القِتَالِ والنِّزَالِ والأعْمَالِ الشَّاقَّةِ وحُدَاءِ الرَّكْبِ والقَافِلَةِ وفِي غَيْرِهَا مِمَّا صَحَّتْ بِهِ السُّنَّةُ وعَرَفَتْهَا العَرَبُ فِي سَنَنِ أنَاشِيدِهَا، كَحَالِ الأُمِّ مَعَ طِفْلِهَا، والرَّاعِي مَعَ غَنَمِهِ، وهَكَذَا.

القِسْمُ الثَّانِي: فَهُوَ الإنْشَادُ المَمْنُوْعُ، الَّذِي خَرَجَ عَنِ اللَّحْنِ المُعْتَادِ الَّذِي تَعْرِفُهُ العَرَبُ فِي إنْشَادِهَا، مما هُوَ جَارٍ بِتَكَلُّفٍ أوْ تَمْطِيطٍ أوْ تَطْرِيبٍ مَصْنُوعٍ أوْ إيقَاعَاتٍ صَوْتِيَّةٍ أوْ أصْوَاتٍ فَاتِنَةٍ... أو اتِّخَاذُهُ عَادَةً؛ أو مِهْنَةً واحْتِرَافًا، أو تَلَبُّسًا بِغَيْرِهَا مِنَ المَحْظُوْرَاتِ الشَّرْعِيَّةِ... فَهَذَا النَّوْعُ قَدِ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ على تَحْرِيمِهِ، ومِنْهُم مَنْ حَكَى الإجْمَاعَ عَلَى حُرْمَتِهِ وذَمِّهِ.

سَادِسًا: بَيَانُ خَطَإِ مَا يَذْكُرُهُ عُشَّاقُ الأنَاشِيدِ المُغَبِّرَةِ هَذِهِ الأيَّامَ: وهُوَ أنَّ هَذِهِ الأنَاشِيدَ (الإسْلامِيَّةَ) صَالِحَةٌ لِدَعْوَةِ كَثِيرٍ مِنَ العُصَاةِ الَّذِيْنَ قَدِ ابْتُلُوا بالأغَانِي المُحَرَّمَةِ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ ثَلاثَةِ أمُوْرٍ.

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

([١]) ولي كِتَابٌ بِعِنْوَانِ : «صِيَانَةِ الكِتَابِ»، قَدْ بَيَّنْتُ فِيْهِ بَعْضَ مُخَالَفَاتِ المُؤَلِّفِيْنَ والكُتَّابِ فِي كِتَابَاتِهِم؛ فَانْظُرْهُ مَشْكُوْرًا.

([٢]) الطَّبَّالُ لُغَةً : صَاحِبُ الطَّبْلِ، وحِرْفَتُهُ الطِّبَالَةُ، لِذَا كَانَ الأوْلَى أنْ تُسَمَّى مُغَنِّيَةُ الأعْرَاسِ : طَبَّالَةٌ، أمَّا الطَّقُّ : فَهُوَ حِكَايَةُ صَوْتِ الحِجَارَةِ، والحَالَةُ هَذِهِ فَلَهُ وَجْهٌ فِي الاسْتِعْمَالِ الجَارِي، واللهُ أعْلَمُ.

١- موقع الشيخ http://www.thiab.net/main/articles.aspx?article_no=597

والحمد لله رب العالمين